

روایات رومانسیہ عالمیہ
عبیر



فلورا کید

رمال فی الأصابع



مکتبہ نثران

رمال في الأصابع

يعيش

الانسان حياته. يتساءل اهو
مسير ام مخير؟ كالسفينة تتلاعب بأشرعتها
رياح الاقدار. ديليا الجميلة ضرب لها القدر موعدا
مع الحب اعتقدت ان سعادتها ستدوم. ولم تكن تعلم ان
عذابها سيكون طويلا ومريرا. وسيتركها حبيبها الدكتور الثرى
ادموند بعد اشهر من زواجهما ليسافر فى بعثه طبية بحثا عن
الامراض الاستوائية. الا ان يد القدر تدخلت مرة ثانية لتسقط
الطائرة فى ادغال البرازيل قبل ان تخبره ديليا بأنها حامل.. ترى
هل تتدخل الاقدار من جديد لتجمع بين القلبين صدفه كما فعلت
فى السابق؟ وهل تقبل ديليا الزواج من بيتر صديق زوجها الذى
سبب فراقهما. ام تبحث عن ادموند فى مناطق منعزله
وبدائية تقطنها قبائل متوحشة معرضه حياتها
للخطر والمرض؟

مكتبة زخري

١ - فراق الاصابع

اقتربت السيارة السيور الخضراء الصغيرة من المنزل الريفي، وقال برايان كولينز وهو يقف بها خلف سيارة بيضاء جاغوار: «يبدو أن خالتك وعمك لديهما زائره».

فرزت ديليا الجالسة في المقعد الخلفي: «ربما يكون أحد من الجامعة، أو ربما يكون أحد طلبة العم روي. لقد سمعته يقول إن أحدهم يقوم بزيارة في الوقت الحاضر لأحدى الضواحي القريبة، وأنه قد يأتي للزيارة في عطلة نهاية الأسبوع».

والتقطت ديليا مضرب التنس الخاص بها وحقيبتها الرياضية، ونزلت من السيارة وهي تقول: «شكراً يا برايان لتوصيلي بالسيارة».

وسألته سو مارتن الجالسة في المقعد الأمامي إلى جانب برايان: «ألن تراك في المساء؟ سنذهب جميعاً إلى أحد الملاهي الذي انتتج حديثاً، وأعتقد أنه رائع. هل ترغبين في الذهاب معنا؟»

وقفت ديليا خارج السيارة تنظر إلى برايان و سو وقد بدا عليها التردد. إنها حقاً ترغب في الذهاب معها، ولكنها تشعر بالحرج لأنها الفتاة الوحيدة في المجموعة التي لم تخرج بدون رفيق.

وردت ديليا قائلة وهي تبتسم: «شكراً للدعوة، ولكنني أعتقد أنه من الأفضل البقاء في المنزل للترحيب بالزائره».

فقلت سو تستحبها الذهاب معها.

«تعالى معنا. فربما يكون هذا الزائر رجلاً مسناً جاء ليقضي عطلة نهاية الأسبوع مع العم روي. أو ربما كان متزوجاً ولديه أطفال وستشعرين بالملل وأنت تجلسين معه».

فأجابت ديليا ضاحكة:

«سأجرب حظي... في أي حال سأراكما الشهر القادم عندما أحضر لقضاء أجازتي». وانطلقت السيارة. ووقفت ديليا تراقبها وهي تتبعد وعلى وجهها ابتسامة. ثم التفتت الى الباب الأمامي للمنزل وقد تدلت حقيبتها الرياضية من كتفها. كانت ديليا ترتدي زياً قصيراً للنس أظهر رشاقته ودقة تكوينها. وكان شعرها البني الداكن يلمع تحت أشعة الشمس وهو ينسدل على كتفيها. وسمعت ديليا صوت خالتها وهي تتحدث مع أحد الأشخاص في البهو. ففضلت التوجه اليها قبل الذهاب الى غرفتها.

اعتادت ديليا على حضور أصدقاء خالتها مارشا وزوجها العم روي لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معها.

وكان معظمهم من أساتذة الجامعة الواقعة بالقرب منهم. حيث كان العم روي يعمل كأستاذ لعلم وظائف الأعضاء في كلية الطب. وتعمل زوجته مارشا مدرّسة لعلم الاجتماع في قسم العلوم الاجتماعية. دفعت ديليا باب البهو برفق. ونظرت الى الداخل ثم تسمرت في مكانها وهي تحلق في الزائر الجالس على الأريكة.

كان يبدو في الثلاثينات من عمره. يرتدي سروالاً وقميصاً من اللون الأزرق الداكن. وقد فتح القميص من الأمام الى منتصف صدره تقريباً. وبدأ وجهه نحيفاً وحليفاً لوجه الشمس ليصطبغ باللون البرونزي الجذاب. وبدت جبهته عريضة ووجنتاه بارزتين. أما أنفه فكان طويلاً ومستقيماً.

كانت مارشا تجلس في مواجهته وهي تتحدث اليه في حماس. والعم

روي يجلس في مقعده المعتاد. يهر رأسه بين أوتة وأخرى مستمعاً الى حديث زوجته.

أما الضيف فلم يبد عليه أنه ينصت الى حديث مارشا. وظهر الملل واضحاً على وجهه وهو ينظر الى الكأس التي يمسك بها. ووجهت اليه مارشا أحد الأسئلة. فلم يرد الضيف فوراً. بل صمت قليلاً ثم نظر الى أعلى.

ورأت ديليا عينيّه الزرقاوين تبرقان تحت رموشه الكثيفة. وكتمت ضحكة كادت تفلت منها. فكان من الواضح انه لم يسمع حتى السؤال الذي وجهه اليه!

وبدا عليه الارتباك للحظة. ولكن سرعان ما ارتسمت ابتسامة على شفتيه فبدأ وجهه جذاباً. وشعرت ديليا بما يشبه الدوار وهي تنظر اليه. وقال الرجل موجهاً كلامه الى مارشا في صوت عميق هادي:

«من الطبيعي أنني أتفق معك يا سيده هالتون. ان الغاية ليست مكاناً مناسباً لفتاة اعتادت الحياة السهلة».

وضحك روي هالتون بصوت عال وهو يقول:

«ما أبرعك يا ادموند. كنت أعتقد دائماً أنك لم تحتر المهنة المناسبة لك. وأنتك تصلح لأن تكون ديبلوماسياً وليس طبيباً».

استمرت مارشا في حديثها. ورفع الرجل كأسه الى فمه ولكنه انتبه لوجود ديليا داخل الغرفة. فأنزل يده بالكأس. والتفت اليها. تلاحقت انفاسها عندما التفت نظراتها. شعرت كأن قوة مغناطيسية تجذبها اليه.

وقام روي وهو يقول:

«أهلاً... ها قد حضرت أخيراً يا عزيزتي».

ونفض الضيف. ووقف في تأدب والعم روي يقدمه الى ديليا التي رجبت به. وقد تولّاه شعور مفاجيء. بالحجل. والتفتت حيث جلست الى جانب مارشا.

قال روي موجهاً حديثه الى ديليا:

« ادموند تاليوت كان أبرز طلبتي منذ عدة سنين ».

ونفضت مارشا عن مقعدها وهي تسأله

« هل تريد كأساً أخرى يا ادموند؟ »

والجهت الى ادموند حيث أخذت كأسه الفارغة، ثم عادت تحمل اليه كأساً أخرى. جلست الى جواره على الأريكة ومالت الى الأمام ناحيته تناولها الكأس فكشف الثوب عن جزء كبير من صدرها.

تجهّم وجه ديليا، لأنها تفهم مارشا جيداً، وتعرف أنها تحب التوقد واغراء الرجال، وخاصة الشباب منهم.

كانت مارشا تحب الحياة مع زوجها الذي يكبرها بحوال عشرين عاماً مملّة، ولذلك فأنها تعتمد بين أوتة وأخرى إلى إنعاش حياتها باقامة علاقات مع رجال آخرين.

ولم يخامر ديليا أدنى شك في أن خالتها كانت ترى في ادموند شخصاً مناسباً.

وبينما كان يدور الحديث حول الأمراض الاستوائية التي يهتم بها ادموند، التفت الى مارشا يسألها فجأة:

« هل يمكن السياحة في أمان على الشاطئ، القريب من منزلكم؟ »

فردت مارشا مبتسمة:

« بالطبع، هل تحب السياحة يا ادموند؟ »

« نعم، الى درجة كبيرة وخاصة في البحر، هل تسمحين لي بالذهاب الى الشاطئ الآن؟ »

ورّد روي بحماس:

« بالطبع يا ادموند يمكنك ذلك، واعتبر نفسك في منزلك. ديليا ستصحبك

الى الشاطئ، الذي لا يبعد كثيراً عن هنا. »

وقالت مارشا وهي تقف:

« اعتقد أنك تريد أن تبذل ثيابك، تعال معي لأريك الغرفة، وستنتظرك ديليا عند الباب الأمامي. »

وتبع ادموند مارشا، وصعدت ديليا الى غرفتها لترتدي ملابس الاستحمام في دقائق أسرع بعدها الى أسفل. وفي طريقها الى البهو، مرّت بغرفة الاستقبال فسمعت صوت خالتها مارشا تتحدث مع ادموند. وشعرت ديليا بضيق في دخول مارشا الى الغرفة مع الضيف.

انتظرت ديليا خروج ادموند ما يقرب من عشرين دقيقة، ثم سارت معه في الطريق الضيق الذي تحفّ به الصخور باتجاه الشاطئ.

وما أن وصلا حتى ألقى ادموند بمنشفته فوق الرمال، وخلع ملابسه بدون الاهتمام بوجودها معه، وانطلق ليلقي بنفسه في المياه.

تبعته ديليا وهي تشعر بالاستياء، لأنه لم ينتظرها، وكان ادموند سباحاً ماهراً. حاولت ديليا مجاراته في السباحة لنشبت له أنها ليست أقل منه مهارة، ولكنه استمر في تجاهل وجودها الى جانبه، فخرجت من المياه، وجلست على الرمال تراقبه.

وبعد فترة خرج ادموند من المياه، وألقى بنفسه فوق منشفته أمامها. وقال وهو ينفض المياه عن شعره:

« أشعر بتحسّن الآن. خالك قدّمت لي شراباً كويّاً وأنا غير معتاد على تناول هذا النوع. وبدأت بالفعل أفقد اتزانتي وأنا أجلس في المنزل. »

ثم انقلب ادموند لينام على بطنه، ورفع وجهه ليستد الى ذراعيه المقلودتين، ثم نظرا إليها قائلاً:

« إذا فأنت ابنة فرانك فينيوك. أكاد لا أصدق ذلك! »

فسألته باندعاش شديد:

« لماذا؟ »

«لأنني لم أتصور أبداً أن فرانك يتزوج، فما بالك بأن يكون له أولاد»
«هل قابلته؟»

«نعم، حضرت عدداً من المحاضرات التي ألقاها منذ عشر سنوات، حول ضرورة حماية الشعوب البدائية، والقبائل التي تعيش في المناطق المتطرفة في أندونيسيا و جنوب أميركا. وقد تأثرت بهذه المحاضرات الى درجة دفعني للتخصص في الطب الاستوائي بعد تخرجي، حتى يمكنني مساعدة هذه الشعوب».

«وهل تمكنت بالفعل من زيارة هذه الشعوب؟»

«نعم. وقد رجعت لتوي من أفريقيا، حيث كنت أعمل لحساب إحدى منظمات الصحة العالمية».

«ومتى تعود الى هناك مرة أخرى؟»

«إذا طلب مني ذلك، او عندما أشعر بالرغبة في العودة. أما الآن فكل ما أريده هو قضاء فترة طبية حيث أقيم في لندن».

ثم نظر اليها ادموند نظرة ذات معنى، وهو يضيف:

«وأفضل أن أقضي مثل هذا الوقت مع فتاة جذابة. ما رأيك في ذلك؟»

ودون أن ينتظر ردّها، انقلب ادموند من جديد ليستلقي على ظهره. وكان الشاطئ في ذلك الوقت مهجوراً تقريباً. ولم يكن يسمع سوى صوت ارتطام الأمواج الخفيف بالشاطئ، وأصوات طيور النورس.

واصطليح وجه ديليا بالدماء وهي تستمع الى ما قاله ادموند. وأخذت تعبت بالرمال وهي لا تدري لماذا تحببه. كانت ترغب بالفعل في أن تكون هذه الفتاة الجذابة التي يرغب في صحبتها، ولكنها كانت تشعر بخجل. ولم تكن قد مرت بتجارب مماثلة من قبل، ففضلت ألا تظهر لهفتها على قبول دعوته.

فتجاهلت اقتراحه وسألته:

«هل تعتقد أن خالتي مارشا جذابة؟»

نظرت ديليا اليه بطرف عينا تتفحص صدره العاري وقد التصقت به بعض حبات الرمل، وشعرت لأول مرة بأن حواسها تنبسط أجابها ادموند بطريقة دبلوماسية:

«إن مارشا تبدو في مظهر رائع بالنسبة لعمرها».

فقالت ديليا:

«إنها تبلغ الحادية والأربعين من عمرها تقريباً».

«هذا يعني أنها تكبرني بعشر سنوات. وأنت كم عمرك؟»

«أنني أبلغ الواحدة والعشرين».

فقال ادموند بلهجة ساخرة:

«الحمد لله. أعتقد أنك ما زلت تلميذة صغيرة في المدرسة».

فردت ديليا في تهكم:

«ربما كنت تفضل من هن أكبر سناً»

كانت ديليا تدرك أنها تقوم بلعبة خطيرة، ولكنها كانت تنوق الى معرفة ما حدث بين مارشا وادموند عندما صحبتته الى غرفته.

وقال ادموند في صوت ضاحك وكأنه يحيد الأمر مسلياً:

«أعترف أنه في بعض الأحيان تعرض خيرة المرأة في ارضاء الرجل عن انفقارها الى الشباب».

«وهل أرضتكم خالتي مارشا عندما صحبتكم الى غرفتك؟ لقد سمعتها تتحدث معك داخل الغرفة؟»

ولم يرد ادموند على تساؤلها، ولكنها فوجئت به يعتدل أمامها. ثم أمسك وجهها بيديه، وأداره ناحيته، ونظر اليها وقد بدت نظرة تساؤل في عينيه الزرقاوين، وهو يقول:

«ما الذي تحاولين الوصول اليه؟»

وشعرت ديليا بدقات قلبها تتسارع، لكنها تماسكت واجهت نظراته،

وقالت في لهجة حاولت أن تبدو باردة:

«إنها معجبة بك. وأعتقد أنها تريد أن تقيم علاقة معك. ولست أول شاب تفعل معه ذلك، وأيتها تفعل ذلك من قبل. وقد قدّمت لك شراباً قوياً لتسليك اراذك ولتنفّذ لها رغباتها عندما صحبتك الى غرفتك».

فرّدت ادموند في لهجة عنيفة جعلتها تتوقف عن الكلام:

«هذا يكفي».

وأضاف في لهجة هادئة وهو يمر بأصابعه على وجنتها ثم شعرها الميتل:

«لم يحدث شيء بيني وبين خالتك عندما صحبتني الى الغرفة فأنا لست شاباً قليل الخبرة بأساليب النساء، او غير قادر على مقاومة اغراء امرأة تحاول الايقاع بي. انني أنصحك بالآلا تتأدي في هذه التخيلات حتى لا تجزّي على نفسك المتاعب. هل تشعرين بالغيرة يا قطتي الصغيرة؟»

فرّدت ديليا في نبرة احتجاج:

«أنا لا اغار».

وحاولت الابتعاد عنه، ولكنها لم تستكن فقد كان يمسك شعرها بقوة:

واستطرد ادموند بسألاً:

«إذا كنت لا تشعرين بالغيرة كما تقولين. فلماذا اذا تهشين بما حدث بيني وبين مارشا؟»

«انتي... انتي لا أحب أن أراها تتصرف بهذه الطريقة أمام العم روي، فانه يعاملها معاملة حسنة».

فقال ادموند في تحد:

«هل أنت واثقة أنه السبب الحقيقي؟ أليس صحيحاً أنك لم تتحمل فكرة وجودها معي لأنك تريد أن تكوني مكانها؟»

اجتاح الغضب ديليا لأنه اكتشف الحقيقة التي حاولت أن تخفيها وقالت:

«لا. ليس هذا صحيحاً. كم أنت مغرور لتعتقد ذلك».

وشعرت ديليا بأنه يسخر منها، فرفعت يدها لتصفعه على وجهه ولكنها لم تستكن من ذلك. وعندما حاولت الابتعاد عنه صرخت من الألم لأنه كان ممسكاً بشعرها، وصاحت قائلة:

«دعني أذهب... أرجوك دعني أذهب».

«الآن وقد أمسكت بك، فلا أريد أن أتركك ايها المهورية».

ثم اقترب منها وهو يمس قائلًا:

«ان رائحة البحر تفوح منك».

«وأنت تفوح منك رائحة الشراب».

فضحك ادموند واقترب بشفتيه من وجنتها، وهو يمس قائلًا:

«ربما يكون ذلك. ولكنني أجذك أروع من أي شراب تقدمه إليّ مارشا».

ولمس وجنتها بشفتيه وهو يضمها بين ذراعيه بقوة.

حاولت ديليا التخلص منه وهي تحرك رأسها بعيداً عنه، ولكن مقاومتها له أشعلت رغباته، فأمسك برأسها بقوة ودفعها الى الخلف لتستلقي على الرمال وهو يعانقها بعنف.

ووجدت ديليا نفسها تستكين لدفته، فأغمضت عينيها ولم تعد تشعر بشيء من حولها.

وبدأت شفتاها ترتعشان، ومذّت يدها لتتخلل بأصابعها شعره الميتل، وأطراف كتفيه.

وشعرت به، يسترخي بين ذراعيها وهو يمر بشفتيه برقة على جلدها هامساً:

«أناك جميلة».

ثم رفع رأسه لينظر في عينيها، وهو يضيف:

«وأنت رفيقة ولطيفة مثل نسيم الربيع. عيناك خضراوان وحيلتان فكيف يمكن لأي شخص أن ينظر الى مارشا في وجودك؟ والآن هل الفاك مرة أخرى؟ هل

ستحضرين الى لندن لرؤيتي؟»

شعرت ديليا بالسعادة تغمرها وهي تفكر في الرجل الجذاب الذي دخل حياتها. فقالت وهي تمر بأصابعها على شفتيه:

«انتي أقيم في لندن حيث أعمل».

«حسناً. هذا يعني اننا سنلتقي كل يوم. أين تعملين؟»

«أعمل في إحدى شركات النشر في مجلة الجغرافيا المصورة».

«وأين تقيمين؟»

«أقيم مع إحدى صديقاتي في كنسغتون».

«وهل تبعد كثيراً عن نايتس بريدج؟»

«لا. ليس كثيراً. ولكن لماذا؟»

«أقيم في شقة مفروشة لأحد أصدقائي في نايتس بريدج فهو يقضي عطلة لمدة ستة أسابيع في البحر المتوسط أنا سعيد لأنها لا تبعد كثيراً عن مكان إقامتك. أليس لك أقارب غير مارشا؟»

«لا. فهي الشقيقة الصغرى لوالدي التي توفيت وأنا في الثانية عشرة من عمري. ولما كان أبي يتغيب كثيراً، فقد أرسلني إلى إحدى المدارس الداخلية القريبة من هنا. أحضر إلى منزل خالتي دائماً في الإجازات. لا بد أنك سمعت بما حدث لوالدي الذي قتل في حادث سقوط طائرة في أثيوبيا منذ خمس سنوات».

«نعم. قرأت عن الحادث».

«وأنت. هل لديك عائلة؟»

«فأجاب آدموند في تحفظ شديد:

«مات أبي منذ بضع سنوات. أما والدي فتزوجت بعد وفاته وتقيم في إيطاليا».

«أليست لك أخوات أو أخوة».

«لا. ولكن يوجد العشرات من الأقارب».

ثم قبلها في أنفها، وهو يقول:

«هل يمكنني اصطحابك في سيارتي إلى لندن غداً، أريد أن نتقابل بعيداً عن

خالتيك التي تلقى الآن تراقبنا من خلال المنظار المكبر».

وانتفضت ديليا واقفة، والتفتت ناحية المنزل، فلمحت خالتها تلقى في

أحدى النوافذ العلوية وقد وضعت أمام عينيها منظار العم روي المكبر.

وفي المساء التجهت ديليا إلى فراشها وهي تشعر أنها تعيش في حلم جميل.

وبينما كانت تستعد للنوم، دخلت مارشا إلى الغرفة، وقالت:

«يبدو أن الأمور تسير على ما يرام بينك وبين آدموند. وكل ما أرجوه ألا يفرك

اهتمامه المفاجيء بك وتتدفعي وراء عواطفك».

«هل تظنين ذلك حقاً؟»

فتقدمت مارشا وجلست على حافة الفراش قائلة:

«حاولت منذ وفاة والدتك أن أعوضك عنها وأرشدك إلى ما فيه مصلحتك. ولكن

ربما لم أكن صريحة معك بالنسبة لبعض المسائل».

فقالت ديليا ضاحكة:

«إذا كنت تقصدين أنك لم تحدثيني عن حقائق الحياة، فإن هذا صحيح، ولكن

هذا لا يهم فأنتي أعرف هذه الحقائق ويمكنك المحافظة على نفسي».

فتنهدت مارشا وهي تقول:

«أعرف ذلك يا عزيزتي. ولكنك ما زلت تجهلين الناس. ويمكنك ارتكاب خطأ

فطيع مع هذا الطبيب. انه ليس كما يبدو لك. فهو يخفي تحت هذا المظهر الدقيق

برودة وخسونة».

وشعرت ديليا بالغضب فاندفعت قائلة:

«تقولين هذا فقط لأنك لم تتمكني من التأثير عليه. وليس معنى فشلك انه

شخص سيء».

ولم الغضب في عيني مارشا وهي تقول في لهجة باردة:

«لا أعرف عما تتحدثين؟ انني أحاول أن أوضح لك أن آدموند من الطراز

الذي يفضل عمله على أية فتاة في العالم. كما انه يفضل الحياة البدائية

والذهاب الى الأعراس والعيش مع القبائل، وأنا لا أعتقد أنك تريدان التورط مع رجل من هذا الطراز».

فقالت ديليا في لهجة حاملة:

«أنا لا يهمني من يكون ادموند او ماذا يفعل. المهم أنه يعجبني. وغداً سأذهب الى لندن معه حيث يمكننا أن نلتقي كل يوم».

وانتفضت مارشا واقفة، واتجهت نحو الباب، ثم التفت الى ديليا وقالت في حدة:

«أنتك غبية. مثل والدتك تماماً. وستدعين يوماً لأنك لم تستمعي الى نصيحتي. وعندما يحدث ذلك، أرجو ألا تسرعي بالحضور الى طلباً للمساعدة».

وتجاهلت ديليا تحذيرات خالتها، فقد كانت مقتنعة بأنها هاجت ادموند لأنه لم يخضع لرغباتها. وبعد عودتها الى لندن، كانت تقضي كل أوقات فراغها مع ادموند وكان قد انقضى أسبوع، عندما كانت تجلس الى جانبه في شقة صديقه حيث اعترفت له بأنها تحبه.

فهمس في أذنها:

«إذا ستقضين الليل معي هنا».

وعلى الرغم من أن ديليا كانت تتلهف الى ذلك بكل ذرة في كيانها الا أنها قالت:

«انتي... انتي... لا أستطيع».

فسألها ادموند وهو يقبلها في عنقه:

«ولكن... لماذا؟»

«لا أدري... ان شيئاً داخلي يمنعني من ذلك».

فانتفض ادموند واقفاً، واتجه الى النافذة وهو يقول في غضب:

«إذا كنت تكذبين عندما اعترفت لي بحبك».

فصاحت ديليا قائلة:

«لا، ليس هذا صحيحاً. ليس صحيحاً. انتي أحبك. ولكنني لا أستطيع البقاء معك. لا أستطيع العيش معك إلا... إلا».

فقاطعتها ادموند قائلاً:

«الا بعد أن تضعي خاتماً حول اصبعك، ويصبح من حقك استخدام اسمي. أليس كذلك؟»

ثم التفت اليها، فهزّت رأسها بالإيجاب، فاستطرد يقول:

«كنت أعتقد أنك مختلفة عن الأخريات».

وشعرت ديليا بأنه مستاء منها، ولما لم يكن بمقدورها أن تلي طلبه، وقفت واتجهت الى حيث وضعت حقيبتها فأخذتها ثم قالت وهي تتجه الى الباب:

«إذا... إذا... كنت تحبني فعلاً كما أحبك، كان يجب أن تطلب مني الزواج أولاً».

ولكن ادموند سبقها الى الباب، واستند اليه بظهره وهو يسألها في هدوء:

«الى أين تذهبين؟»

فاتفجرت في البكاء، وهي تقول:

«لا أدري».

فتقدم نحوها، وأمسك بوجهها بين يديه، وأخذ ينظر اليها ملياً ثم ابتسم وهو يقول:

«حسناً... سأفعل ما تريدان يا حبيبتي. سنزوّج في أسرع وقت وفي هدوء تام، لأنني أريدك أن تعيشي معي هنا».

فاندفعت ديليا بين أحضانه وظلاً متلاصقين لفترة كطفلين صغيرين خائفين من الظلام ثم همس ادموند وهو يقبلها في شعرها:

«لا أدري ما حدث لي. ان حيي لك وحاجتي الى وجودك قد أفقداني صوابي، ولم أعد أعرف ما أفعله. لقد ولّقت بيني وبين عقلي».

وعجبت ديليا بينها وبين نفسها لهذه الجملة الأخيرة، ولكنها لم تحاول الاستفسار منه عما يعني بذلك، فقد ألهتها السعادة التي كانت تشعر بها في تلك

اللحظة عن التفكير في أي شيء آخر.

وتم الزواج في هدوء... وتركت ديليا صديقتها لتعيش مع ادموند في شقة صديقه الى أن يتمكنوا من العثور على شقة خاصة بهما. ومضى أسبوعان على زواجهما. كانت ديليا تشعر خلالها بسعادة غامرة. فقد أثبتت لها الأيام أن ادموند هو أمير أحلامها. وقد منحها من الحب ما كانت تتوق اليه.

وكان متفهماً تماماً لرغباتها ومشاعرها التي كانت تمنحها له بسخاء. ولم يكن بدوره يحاول أن يأخذ من أحاسيسها أكثر مما كانت ترغب في منحه له.

وفي اليوم الذي كان مقرراً أن يعود فيه بيتر مانسون الى شقته. توجه ادموند الى جامعة اكسفورد لحضور اجتماع لاجدى منظمات الصحة.

وبينما كانت ديليا تحزم الأمتعة استعداداً للرحيل سمعت الباب يفتح. فأعتقدت أنه ادموند ولكنها فوجئت بشاب في مثل عمر زوجها. طويل القامة أسود الشعر. لطيف المظهر. ودهش بدوره لرؤية ديليا التي أسرعت تشرح له سبب وجودها في شقته.

ولغر الشاب فاه دهشة. ثم صاح قائلاً:

« ادموند يتزوج! لا ليس هذا معقولاً. انني لا أصدق ذلك! »

وبعد أن أفاق من دهشته. أمسك بشاربه يعيث به وقد بدا عليه التفكير ثم قال:

« تعالي الآن... لا داعي لأن تكذبي علي. فأنني أعرف ادموند جيداً. وأعرف انه لا يفكر في الزواج على الإطلاق. في أي حال لست مستاء لوجودك معه في شقتي. كنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل. »

لقاطعه ديليا في احتجاج:

«ولكننا لسنا... كما تعتقد. »

ثم رلعت يدها اليسرى ليرى خاتم الزواج يلعب في اصبعها وهي تقول:

«هل انتفعت الآن بصدق كلامي؟»

وظهرت على بيتر الدهشة الشديدة. وأخذ يعيث بشعره وهو ينظر اليها بعينين بدت فيهما الحيرة. ثم قال بصوت خافت:

«يا إلهي! »

ثم جلس فجأة على أحد المقاعد. وهو يضيف.

«اعذريني. ولكنني مندهش للغاية. فان ادموند لا يهتم بشيء في الحياة سوى

بالطب الاستوائي. كم مر على زواجكما؟»

« ستة أسابيع. »

فانتفض بيتر واقفاً. وهو يقول:

«يا إلهي...»

ثم وضع يديه في جيبه. وأخذ يسير في الغرفة جيتة وذهاباً. وهو يقول:

«لن يدهشني أن أعلم أنك لم تعري عنه شيئاً على الإطلاق. »

فرقت ديليا وجهها اليه فيما يشبه التحدي وهي تقول:

«انني أعرف عنه كل ما يهمني معرفته. أعرف عمره وكل ما يجب أن يفعله. ماذا

أريد أكثر من ذلك؟ انني أحبه... وهذا يكفي. »

«أنت عاطفية. هيه! إذا لم يخبرك ادموند. »

ثم توقف بيتر عن الحديث. وبدأ يسير في الغرفة من جديد. فسألته

ديليا في قلق بالغ:

«لم يخبرني بماذا؟»

«لم يخبرك بأنه ورث عن أبيه منذ بضع سنوات»

«حسناً. انني أعرف أن لديه ما يكفي من المال. على الرغم من أنه لا يبدو عليه

أنه يمتلك شيئاً بخلاف سيارته الجاغوار. »

وضحك بيتر في سخرية. وهو يقول:

«لديه ما يكفي من المال! انه يمتلك مئات الآلاف من الجنيهات جمعت كلها من

صناعة الحلوى. ألم تسمعي من قبل عن حلوى تالبوت؟»

وكانت ديليا قد سمعت بهذه الحلوى، ولطالما ابتاعت منها الكثير، ولكنها لم تكن تعتقد أبداً أن هناك ارتباطاً بين اسم تاليوت وزوجها آدموند تاليوت. فقالت بطريقة طفولية:

«ولكن آدموند لا يبتلع عليه أنه صانع حلوى».

«بالطبع لا، ليست له أي صلة بهذا العمل الذي يمتلكه كلية الآن بعض أقاربه. إنه لم يهتم بمثل هذا العمل طوال حياته بما أعزى والده. فقد كان آدموند يرغب دائماً في أن يكون طبيباً لمساعد المحتاجين، حتى أنه حاول أن يغري والده بأن يترك ثروته كلها لأحدى المنظمات الخيرية بدلاً من أن يتركها له، ولكن والده ماثيو تاليوت رفض ذلك. وبعد وفاته، أخذ آدموند يتفق هذه الثروة على دراسته في الطب الاستوائي في الجامعة وعلى تمويل رحلاته العديدة إلى مناطق الأدغال».

وتوقف بيتر عن الحديث قليلاً وهذا عليه وكأنه يفكر، ثم سأله:

«ماذا ستفعلين عندما يذهب آدموند في رحلاته إلى بعض المناطق المتعزلة أو الموبوءة بالملاريا في أفريقيا أو البرازيل؟ ألم تفكري في ذلك؟»
«سأذهب معه بالطبع».

نظر إليها بيتر في شفقة، وهو يقول:

«أنتي أشك في ذلك. لأنني أعرف آدموند جيداً، وأعرف أنه يعمل طبيباً للمثل القاتل من يسافر وحيداً يسافر سريعاً».
«لقد كنت غفطاً عندما اعتقدت من قبل أنه لن يتزوج أبداً، وربما تكون محطناً هذه المرة أيضاً».

فتنهت بيتر قائلاً:

«لذلك أشعر بالقلق عليك».

ثم نظر إليها وأضاف:

«أستطيع أن أدرك السبب الذي دفعه للزواج منك وهو يقيم في لندن. ولكن

النامته هنا لن تدوم، كما أنه ليس من الطراز الذي يصلح كرجل بيت».

يبدو أن بيتر لاحظ تعجبهم وجه ديليا الذي بدا عليه القلق، فنهز رأسه وهو يعتذر لها قائلاً:

«أسف يا ديليا لأنني أقول لك هذه الأشياء في الوقت الذي يجب أن اهتلك بزواجك».

حاولت ديليا أن تنسى ما قاله بيتر ولكنها كانت تشعر بالقلق، وسرعان ما زال قلقها بعد أن انتقل إلى الشقة الجديدة، وبدأت تشعر من جديد بسعادة الحب بين أحضان آدموند.

ومضت ثلاثة أشهر وهما يتعمان معاً بالسعادة.

واستمرت ديليا تقارن عملها في المجلة الجغرافية، أما آدموند كان مشغولاً في أبحاثه في جامعة أكسفورد. وقد لاحظت ديليا خلال هذه الفترة أنه على الرغم من أن آدموند كان يحب الحياة البسيطة، إلا أنه كان يتفق عليها بسخاء. كما لاحظت أنه يشعر بحساسية تجاه موضوع الثروة التي ورثها عن والده والتي تنازل عن قدر كبير منها لأعمال الخير.

وعندما سأته ديليا في إحدى المرات لماذا لم يخبرها بأن والده كان يمتلك مصانع للحلوى، أجابها بأنه كان يريد أن تزوجه لشخصه وليس طمعاً في ثروته.

عرفت منه أنه كان على وشك الزواج من قبل بفترة، ولكنه اكتشف في اللحظة الأخيرة أنها تسعى وراء ماله.

وعندما سأته ديليا إن كان قد أحب تلك الفتاة، أجابها بأنه لم يجيبها بالقدر الذي يشعر به نحوها هي.

وذاث يوم عاد آدموند إلى المنزل ليخبر ديليا بأنه سيذهب ضمن بعثة للتصليب الأحمر إلى إحدى المناطق التي تعرضت للزلازل في أندونيسيا حيث يعاني الآلاف من السكان من المرض والجوع.

فأنته ديليا ان كانت تستطيع الذهاب معه، ولكنه أجابها بالنفي. ولما سألته عن السبب، أجابها قائلاً:

«لعدة أسباب. أولاً لأن الأطباء والمرشحات والعاملين في الخدمة الاجتماعية هم وحدهم الذين يمكنهم الذهاب. وثانياً لأنني لا أريدك أن تذهبي الى مثل هذه الأماكن وسأكون أكثر سعادة وأنت تقيمين هنا في أمان من دون متاعب. تتظيرين عودتي اليك».

ولم يكن أمام ديليا سوى الاذعان لرغبته. وسافر ادموند، وبدأت تشعر بالوحدة. ولكن بيتر لم يتركها، فقد كان يتردد عليها دائماً، ويدعوها للخروج معه في بعض الأحيان قائلاً ان ادموند طلب منه العناية بها أثناء غيابه. ومضت الأيام طويلة، وانقضت سبعة أشهر على غياب ادموند. وأخيراً عاد وقد ازداد تحوّلاً. سعدت ديليا بعودته، وبدأ عليه أنه لا يريد التحدث كثيراً عن رحلته وأنه مصمّم على التمتع بكل دقيقة من وقته مع زوجته وبين أخصائها.

فذهب الى رئيسها في العمل، واستأذنه في منحها أجازة لمدة أسبوعين تقضيها معه.

ومضت حوالي ستة أسابيع على عودة ادموند الى لندن ثم عاد مرة ليلفها من جديد بأنه سيسافر ضمن بعثة أخرى الى وسط أميركا حيث تعرضت منطقة أذغال لزلزال مدمر.

وطلبت منه ديليا من جديد أن تذهب معه، ولكنه كرّر رفضه، وحدث بينهما لأول مرة منذ زواجهما مشادة عنيفة. وعلى الرغم من أنها حاولت التغلب على هذا الموقف، إلا أن موقفه حيالها كان يتسم بالبرود عندما سافر في مهمته. وخلال تغيبه هذه المرة، تلقت ديليا مراراً من ألا يعود اليها ادموند. وعاد بيتر يتردد عليها. ولكم شكرته في أعماقها، ولكنها كانت تنفد ادموند بشدة. وكانت لا تتوقع عودته قبل شهر.

وفي عطلة نهاية الأسبوع، اقترح بيتر أن يصحبها الى الشاطئ. وفي المساء، وكان الوقت ما زال مبكراً، عادا الى منزلها ودخل معها بيتر الى الشقة كما تعود أن يفعل بعض الأحيان حيث تقدم له ديليا كأساً. جلس بيتر على الأريكة، وجلست ديليا الى جانبه فألقت اليها بيتر فجأة وهو يقول:

«في مثل هذه الأوقات، أفتي لو أنك لم تكوني زوجة لادموند».

ولم تدعش ديليا لقول بيتر فقد لاحظت اهتمامه الزائد بها في الفترة الأخيرة، وخطر لها أكثر من مرة أن ترفض دعوته الى الخروج. وفكرت في هذه اللحظة أن تقوم من جانبه. ولكنها ما كادت تهم بالكوف، حتى أمسك بيدها قائلاً:

«تعرفين أنني وقعت في المحذور يا عزيزتي. أحببتك وانت زوجة أعز صديق لي. وسأنتهز فرصة غيابه، لأنني لم أعد احتسب الابتعاد عنك».

تهدمت ديليا وهي تحاول إبعاده عنها،

«لا يا بيتر... لا أرجوك».

ولكنه لم يستمع اليها، وأحاطها بذراعيه فأحست بأنفسه المضطربة. وأضاحت بوجهها بعيداً. وفي هذه اللحظة لمحت ديليا شيخ شخص يقف بالباب المؤدي الى غرفة النوم. وشبهت وهي لحق في اتجاه الباب فأخفت الشيخ. ولم تدرك ديليا اذا كان ما رآته حقيقة أم أنه من نسج خيالها. وعندما سمعها بيتر تشق ابتعد عنها قليلاً وهو يعتذر قائلاً:

«أنا أسف يا ديليا، لقد غاديت معك. ولكنك جميلة جداً وحزينة وفي حاجة الى من يؤنس وحدتك. لعل تسمعين لي بالبقاء معك».

«لا... أرجوك يا بيتر أرجوك ألا تعود الى مثل هذا القول وإذا حدث، فأنتي لن أقابلك بعد ذلك أو أخرج معك... والآن، أرجوك أن تذهب».

ووقف بيتر وهو يقول:

«حسناً... سأذهب. ولكنني سأعود لرؤيتك. وفي أي حال هناك مثل يقول ان كل

شيء مباح في الحب والحرب، وأنا أخيك يا ديليا وأريدك.

نظرت ديليا في ثقل إلى الباب المؤدي إلى غرفة النوم وقالت:
«أرجوك يا بيتر لا فائدة من هذا الكلام لأنك تضيع وقتك. فأنا سيدة
متزوجة».

فالتفت إليها قائلاً:

«هذه مشكلة يمكن التغلب عليها. إن زواجك من ادموند ليس زواجاً بمعنى
الكلمة».

وقالت ديليا في صوت خافت:

«أرجوك يا بيتر أن تتوقف عن هذا الكلام. وأن تخرج الآن».

وفتحت الباب، فقال بيتر وهو يخرج:

«أنت غبية يا ديليا لتظلي على إخلاصك لزوجك. انني أشك في أنه سيكون
مثلك على هذه الدرجة من الإخلاص».

فردت ديليا في اقتصاب:

«مع السلامة يا بيتر. وأشكرك على اصطحابي إلى الشاطئ».

واغلقت ديليا الباب خلفه. وقد امتلأت نفسها بالشك من احتمال أن يكون
ادموند غير مخلص.

وأسرعت متجهة إلى غرفة النوم التي كان بابها مغلقاً. وفتحت الباب ببطء.
وكانت الغرفة تسبح في الظلام.

ونظرت ديليا داخل الغرفة وسقط قلبها بين ضلوعها حين رأت شبح
ادموند يلف أمام النافذة.

فهتفت باسمه وهي تضيء الثور. فالتفت إليها وكان يرتدي روباً منزلياً قصيراً
وبدا صدره عارياً وكذلك ساقاه.

ولمحت ديليا الشرر يتطاير من عينيه الزرقاوين. لكنه لم يتحرك من

مكانه وأتركت ديليا أنه رأى بيتر وهو يقبلها، فوقفت في مكانها مترددة
وهي لا تدري كيف تتصرف. ولم تندفع إليه لتحيطه بذراعيها وتقبله كما
اعتادت أن تفعل عند عودته إليها. وقالت تسأله في صوت لاهث:

«متى عدت من السفر»

فرقة في برود:

«منذ ساعة تقريباً. ولقد أخذت حماماً لأنفص عن نفسي أضرار المكان الذي جئت
منه. ولم أكن أعرف أنك عدت إلى الشقة إلا عندما سمعت صوت بيتر وأنا
أغادر الحمام».

فتقدمت ديليا إلى داخل الغرفة وهي تقول بعصية:

«أسفة لأنني لم أكن بالمنزل. فأنا لم أكن أتوقع حضورك اليوم. ولذلك خرجت مع
بيتر إلى الشاطئ. حيث قضينا يوماً ممتعاً».

وقاطعها ادموند في خشونة:

«وهل ذهب الآن؟ أم اعتاد على قضاء الليل هنا بعد عودتكما من الخارج؟»

وشهقت ديليا وهي لا تكاد تصدق ما تسمعه. واندفعت لتقف أمام
ادموند. فلمحت في عينيه غضباً مدمراً مما جعلها تشعر بالخوف. فقالت وهي
تحاول التقاط أنفاسها:

«نعم. لقد ذهب».

ومدّت ديليا يدها لتلمس ذراعه في محاولة لتهدئته وقالت:

«أرجوك يا ادموند لا تتفعل هكذا. وسأشرح لك الأمر. إن المسألة ليست كما
تبادر إلى ذهنك. إن هذا لم يحدث من قبل. ولا يعني ما رأيته شيئاً بالنسبة لي».

فقاطعها ادموند من جديد:

«وكيف لي أن أعرف ذلك. وكيف يمكنني أن أعرف ماذا تفعلين أثناء غيابي؟»
وتراجعت ديليا إلى الخلف وهي لا تدري كيف تتعامل مع ادموند. الذي

بدا غريباً تماماً عنها وهو في قمة انفعاله وقالت بصوت منخفض:

«انتي لا أفعل شيئاً. أذهب الى عملي وأعود لأنظرك هنا. أو يا آدموند لو عرفت كم أشعر بالوحدة وأنت بعيد عني».

قرع آدموند حاجبيه في سخرية وهو يقول:

«تشرين بالوحدة! وهل تتوقعين أن أصدقك بعدما رأيته يحدث في بيتي».

فرقت ديليا في محاولة للدفاع عن نفسها:

«حسناً. انت طلبت منه أن يهتم بي أثناء غيابك».

فرق آدموند في مرارة:

«ان هناك اختلافاً كبيراً بين أن يهتمني الانسان بشخص ما وبين أن يحاول امتلاكه».

واندفعت ديليا تقول في غضب:

«انه لم يملكني. كيف يمكنك أن تقول ذلك؟ أنت تقول انك لا تعرف ماذا أفعل أثناء غيابك. حسناً أنا أيضاً أسألك نفس السؤال. اذ كيف لي أن أعرف ماذا تفعل وأنت تبعد عني آلاف الأميال. انتي حتى لا أعرف إذا كنت ما زلت على قيد الحياة».

وتوقفت قليلاً. ثم استطردت في صوت يهتفه بالبكاء:

«وكيف لي أن أعرف أنك لا تتصل بامرأة غيري».

وما كادت ديليا تنطق بهذه الجملة الأخيرة حتى بدا وكأن بركاناً من

الغضب قد انفجر فجأة داخل آدموند.

ونظرت اليه وشعرت بالخوف وهي ترى رغبة مجنونة تطل من عينيها. فتراجعت الى الخلف. ولكنه أسرع تحوها واحتواها بين ذراعيه ثم حملها وألقى بها فوق الفراش. وشعرت ديليا بالخوف. فقد بدا لها آدموند شخصاً آخر متوحشاً غير آدموند المهذب الذي عرفتته دائماً. وحاولت الابتعاد عنه. لكنه لم يملكها من ذلك. فقد أمسك رأسها بيده بقوة وأخذ يعانقها في نهم ووحشية حتى أنها لم تستطع الاستجابة له.

وحاولت دفعه بعيداً عنها. ولكن محاولتها للتخلص منه أشعلت رغبته. ولأول مرة منذ زواجها. شعرت ديليا بأن زوجها يقسو عليها بدون أي اعتبار لرغباتها.

وبعد أن انتهى. تركها وهو يمس في أذنها:

«لقد فعلت ذلك لتعري من أنا. أنا زوجك. وعندما أعود في المرة القادمة من سفر. أرجو أن أجذك أكثر حياً وترحيباً بي».

وترك آدموند الفراش. ووضع رقبته فوق جسده وغادر الغرفة وهو يغلق الباب في هدوء.

واستلقت ديليا فوق الفراش لفترة قصيرة. ثم غادرت متجهة الى الحمام حيث غسلت وجهها. ثم عادت الى غرفتها وارتدت ملابسها وجلست تمشط شعرها أمام المرآة وهي تبكي في صمت. أنها شعرت في تلك اللحظة بأنها فقدت آدموند الذي أحبه.

عاد آدموند بعد قليل وهو يحمل لدحاً من الشاي وضعه أمامها وهو ينظر اليها. ولكن ديليا لم تحاول النظر اليه. وأخذت تنظر الى اللدح الموضوع أمامها. تجلس آدموند بجانبها وأمسك بذقنها واضطرها للنظر اليه. ومر بأصبعه يرفق على شفتيها وهو يقول:

«انتي آسف».

ولكن ديليا كانت لا تزال متعقلة ومستاءة. فتراجعت الى الخلف وانفضت واقفة. وهي تحاول الابتعاد عنه ثم صاحبت قائلة:

«ابتعد عني... لا تلمسني».

فانفض آدموند واقفاً وقد عقد يديه على صدره وهو يقول:

«لم أقصد إيذاءك».

ورفع يده الى جبهته وهو يقول في صوته العميق الهادي:

«لا أعرف ماذا حدث. ربما أكون استأثرت لأنني عدت ولم أجذك. لقد جئت قبل

موعدي لأنني كنت في شوق اليك، واعتقدت أنها ستكون مفاجأة سارة لك»
ثم أخذ نفساً عميقاً، وقال في صوت أجش:

«يا إلهي، لا تنظري إلي هكذا يا ديليا وكأنني وحش. انني لم أقصد إهدائك،
ولقد اعتذرت لك. ماذا أفعل لأجعلك تصدقين ذلك؟»

وتقدم نحوها ولكنها تراجعت إلى الخلف وهي تقول ياكبة:
«لا يمكنك أن تقول أو تفعل شيئاً، لماذا عدت اليوم؟ لماذا أقصدت كل شيء
بعودتك غير المتوقعة؟»

وشحب وجه آدموند، وأدركت ديليا أنها أخطأت بقولها ذلك لأنه قد ينسب
لهمها، فوضعت يديها على وجهها وهي تتحجب قائلة:

«انني لم أقصد أن أقول ذلك. لا أستطيع أن أحمل أكثر من هذا. ماذا أفعل؟»

واندفعت ديليا إلى خزانة ملابسها وجذبت مغطفاً وضعتته فوق كتفها، ثم
أخذت حقيبة يدها من فوق المائدة فأسقطت قرح الشيء. إن كل ما كانت تشعر
به في تلك اللحظة هو حاجتها إلى أن تنفرد بنفسها قليلاً.

وسألها آدموند:

«إلى أين أنت ذاهبة يا ديليا؟»

قرّدت وهي تكي بحرقه:

«لا أعرف. لا أريد أن أراك بعد أن أقصدت كل شيء».

واندفعت ديليا خارجة من الشقة ولم يحاول آدموند أن يتبعها أو يمنعها
من الخروج. خرجت إلى الشارع وحين لفتح هواء الليل وجهها. أفاقت إلى نفسها
وتساءلت لماذا غادرت المنزل. وكانت على وشك العودة، لكنها لمحت عربة
أوتوبيس قادمة فاستوقفتها، وفزت بداخلها وظلّت بها حتى نهاية الخط ثم
عادت بنفس العربة. وعندما وصلت إلى الشارع الذي يلعب به منزلها، كانت نفسها
قد هدأت، وكانت تشعر بأنها على استعداد للاعتذار من آدموند.

ولكنها عندما فتحت باب الشقة، أدركت أن آدموند ليس بالداخل، وظلّت

جالسة طوال الليل في غرفتها بانتظاره، ولكنه لم يعد.

وفي الصباح ذهبت إلى عملها، وأخذت تنتظر بحادثة تليفونية من آدموند
ليدعوها إلى مقابلته ولكنه لم يفعل. وفي طريقها إلى المنزل اشترت له الأطعمة
التي يحبها وزجاجتين من الشراب وفتحت باب الشقة وهي تناديه ولكن ليس
من مجيب. وعندما دخلت إلى غرفة النوم، اكتشفت أنه لم يعد مطلقاً إلى المنزل في
عقبها.

شعرت ديليا باليأس فاتصلت بيتر تسألته إن كان قد رأى آدموند،
فجاءها صوته قائلاً:

«نعم. لقد رأيته. ولكنه رجل لتوه».

فشعرت بالراحة وقالت:

«إذا سيكون عندي هنا خلال دقائق».

وبدأ لها وكأن بيتر يحاول التقاط أنفاسه، ثم سمعته يقول:

«لا أعتقد، إنه لن يحضر إلى المنزل. لقد غادر لندن وترك لك رسالة معي. هل
تحبين يا عزيزتي أن أحضر اليك أحدث معك قليلاً، فأنني لا أستطيع بحث هذا
الموضوع في التليفون».

٢ - سقوط الطائرة

كانت الشمس ساطعة والسماء صافية، وداليا تجلس في مقعدها في الطائرة الصغيرة المحلقة فوق الأراضي البرازيلية. نظرت داليا من نافذة الطائرة، فرأت الأدغال تمتد إلى مساحات شاسعة، وبدت مثل عياد خضراء تغلف الأرض كلها على امتداد البصر.

ولما كانت زيارتها للبرازيل رسمية، فقد وجدت في انتظارها في مطار ريو دي جانيرو عدداً من المسؤولين في قسم الشؤون الهندية في الحكومة البرازيلية. اقتادوها إلى فندق فخم يطل على ساحل كوبا كابانا، ولم تتمكن من النوم طيلة الليل بسبب صوت مرور السيارات الذي لم يتوقف لحظة واحدة. وفي اليوم التالي، سافرت مع الأستاذ كلوديو رودريغيز أستاذ التاريخ الطبيعي، الذي جاء معها على نفس الطائرة ويعمل كضابط اتصال في إدارة رعاية القبائل في البرازيل.

وانجبت بها الطائرة إلى بوستواورلاندو في وسط منطقة الأدغال الضخمة حيث يقع مركز رعاية القبائل البدائية للهنود البرازيليين.

وعلى الرغم من أن داليا كانت متشوقة لرؤية هذه المناطق التي لم تزرها من قبل، إلا أنها شعرت بالخوف من الشعابين والزواحف التي تنتشر في مثل هذه المناطق.

وقطع على داليا أفكارها صوت الأستاذ رودريغيز وهو يقول: «سنصل خلال بضع دقائق. أربطي حزامك».

وبعد دقائق هبطت الطائرة على ممر بدائي يمتد وسط الغابة، ونزلت داليا من الطائرة. وكان أول ما وقعت عليه عينها الأكواخ التي تشبه في شكلها خلية النحل وقد صنعت أسقفها من جذوع النخيل. وجدت في انتظارهم جماعة من الهنود الذين لا يكاد يستر أجسادهم شيء، ومعهم رجل مسن يرتدي شورناً وقميصاً من القطن. بالاضافة إلى شاب لطيف المظهر طويل القامة، وسيدة برازيلية شعرها أسود طويل علقته خلف عنقها وقد اكتست بشرتها بلون برونزي رائع. تقدم الرجل المسن من داليا، وحبسها على الطريقة البرازيلية فقبلها على وجنتيها، وهو يقول بالانكليزية:

«أهلاً، أهلاً، شيء جميل أن أرى ابنة أعرصديق لي فرانك فيتويك. أنا آدمي لويز سانتوس».

وأشار إلى الشاب متابعاً كلامه:

«وهذا ابن أخي مانويل سانتوس الذي يعمل كخبير اجتماعي في المركز، وهذه زوجته ريتا».

صاغت داليا مانويل وزوجته وهي تجول بعينيها في حذر لتسرى ادموند من بين مجموعة المستقلين، ولكنها لم تجده.

فسألها لويز:

«هل تبحثين عن ادموند؟ أعتقد أنه في المستشفى للكشف على بعض المرضى. لقد احتفظت بالسركما وعدتك ولم أخبره بأن الصحفية التي ستحضر على هذه الطائرة هي زوجته. كما أنني، لم أخبر ريتا ومانويل بذلك».

والفتت لويز إلى مانويل وريتا بوضوح باللغة البرازيلية أن داليا زوجة ادموند، فنظرا إليه بدهشة شديدة، هفت ريتا بلهجة أمريكية:

«ولكن ادموند سيفاجأ بحضورك. كنا نتحدث عن الصحفية التي ستحضر لعمل تحقيق صحفي عن الوضع هنا، وضحكنا كثيراً حين قال ادموند أنها ستكون سيدة خشيعة تتحدث بسرعة، ولم يتوقع أحد أن تكون هذه الصحفية

سيدة جميلة ورقيقة مثلك. ولم يكن لدينا فكرة عن أن ادموند متزوج.

وسألت ديليا:

«وكيف حاله؟»

ليرة لويز

«سأحدث معك عن ذلك في طريقنا الى القرية».

وبعد أن أصدر تعليماته الى الخوذة لنقل الامدادات التي حملتها الطائرة، أمسك بذراعها وقادها الى ممر محيط به الحشائش الطويلة الحادة. وسارا خلف عربة الجيب التي وضعت عليها امتعتها وصناديق الامدادات الطبية.

وفي الطريق قال لويز يحدثها عن ادموند:

« ادموند أحسن كثيراً عما كان عليه في الوقت الذي بحثت لك بأول خطاب. لكنه ما زال هزياً للغاية ويشعر بالارهاق سريعاً، انه يحتاج الى فترة راحة، ولكنه مصمم على اتمام العمل الذي جاء من أجله. لقد حاولت اغراءه على التوجه الى برازيليا أو ريبودي جانيرو لفترة من قبيل التغيير، لكنه رفض. ربما تستطيعين اقناعه بذلك، خاصة أنك زوجته وعلى هذا القدر من الجهد».

نظرت اليه ديليا بطرف عينا. وهي تحدث نفسها: ليت يعرف طبيعة العلاقة بيني وبين ادموند.

وسأله ديليا:

«كيف عرفت أنني زوجته وهو لم يخبر أحداً بذلك؟»

«المسألة لم تكن صعبة. فعندما وصل الى المركز بعد حادث سقوط الطائرة، كان مريضاً للغاية ومصاباً بالحمى، ووجدت انه من الضروري ابلاغ أقاربه. بحثت في امتعته فوجدت جواز سفره الذي كتب في نهايته قائمة بأسماء وعناوين الأشخاص الذين يمكن الاتصال بهم في حالة الطوارئ. وكان اسمك على رأس هذه القائمة. لذلك كتبت اليك لأبلغك بالأمر».

كان الخطاب الذي بحثت به لويز الى ديليا أول شيء يصلها عن

ادموند بعد رحيله عن لندن منذ ستة عشر شهراً وأول ما فكرت فيه هو السفر على أول طائرة متجهة الى البرازيل. كانت تشعر بشوق شديد الى لقاء ادموند والعناية به. ولكنها ترددت حين تذكرت الأحداث التي أدت الى رحيله، فبالرغم من انها ما زالت زوجته، الا أنها يعتبران في حكم المنفصلين.

ظلت في دوامة وهي لا تدري ماذا تفعل. وقد أثر ذلك على أعصابها، وأصابها حالة من الاكتئاب النفسي. أثرت على عملها حتى أن رئيسها لاحظ ذلك. وذات يوم استدعاها الى مكتبه لمراجعتها في بعض الأخطاء فوجدت نفسها تنص عليه بخاوفها تجاه ادموند ورغبتها في التوجه لزيارته.

واستمع اليها بن ديفيز رئيسها في صبر وقد بدا عليه التفكير ثم سأله: «هل تريد ان تذهب لرؤيته بالبرازيل؟»

«نعم أريد ذلك. ولكنني لا أدري كيف أسافر كل هذه المسافة وحدي. وربما يخففني مرة أخرى لو عرف بأنني سأذهب للقائه».

ولكن ديفيز قاطعها قائلاً:

«لكن لن يعرف بأمر ذهابك الى بوستو او لاندو»

فحملت في وجهه بدعشة وهي تسأل:

«ولكن كيف؟»

فابتسم ديفيز وهو يقول:

«ستذهبن الى هناك للقاء لويز سانتوس وليس ادموند. سأرسلك في مهمة صحفية كمحررة للمجلة. وستكون هذه اول فرصة لتقومي بالعمل الذي قام به والدك ككاتب للمقالات الجغرافية. كل ما يجب عليك فعله هو أن ترسلي الى لويز وتطلبي منه الاحتفاظ بأمر ذهابك سراً. وسأكتب اليه بنفسى لأبلغه أنك ستقومين باعداد بعض المقالات عن المركز الذي يدبره. وأعتقد أنه سيهتم بك الى حد كبير اذا عرف أنك ابنة صديقه فرانك فيتويك».

توقف ديفيز قليلاً ليشعل غليونته، ثم سأله:

«هل لديك فكرة عن عمل زوجك هناك؟»

«طبعاً لما عرفت من السيد سانتوس، كان آدموند يقوم بجولة كمنعوث لأحدى المنظمات الدولية لجمع الأموال لشراء الأدوية والمعدات الضرورية للقبائل البدائية. حين سقطت الطائرة التي كان يستقلها مع بعض الأشخاص الآخرين فوق منطقة الأدغال، وكان هو الوحيد الذي نجا من الحادث. وقد ظل مفقوداً لبضعة أسابيع ولكنه تمكن في النهاية من الوصول إلى المركز في حالة يرثى لها».

حاول ديفيز أن يفتشها، وطلب منها الإسراع بإعداد نفسها للسفر. ففعلاً تم إعداد كل شيء، وها هي الآن وصلت إلى بوستو أورلاندو تسير بين الأكواخ البدائية وقد تلاحت ذفات قلبها ترقباً للحظة التي سترى فيها آدموند. وقادها لوبيز إلى غرفة متسعة حيث تناول الجميع أقداح القهوة وتزاحم المنود على الباب يشاهدون الضيوف الجدد، وكأن وصول طائرة الامدادات حدث اجتماعي هام في هذه المنطقة المنعزلة.

وبعد الانتهاء من تناول القهوة، صحب لوبيز الطيارين والمضيف والاستاذ رودريغيز إلى الطائرة. وصحبت ريتا ديليا إلى غرفتها، وسألتها وهما تتجهان إلى أحد المباني الواقعة في ظل أشجار الكافور والموز:

«هل تتحدثين البرتغالية؟»

«حاولت ذلك قبل حضوري إلى هنا، ولكن لم يكن لدي الوقت الكافي لأتعلم إلا بعض العبارات البسيطة، لذلك لم أستطع فهم ما وجه إلي من عبارات بالبرتغالية. ولولا أن البعض يتحدث الانكليزية، لوجدت نفسي في موقف لا أحسد عليه. وأنت أين تعلمت الانكليزية؟»

«في المنزل، أمي أميريكية، وكانت تتحدث إلينا دائماً بالانكليزية. ولكن لا تزعمي، سيمكنك تعلم اللغة البرتغالية بالاستماع إلينا. وسأولى مساعدتك على ذلك قدر الامكان. ان آدموند يتحدث هذه اللغة بطلاقة الآن».

«وصلنا أخيراً إلى حيث توجد غرف الإقامة. وكانت أبوابها تفتح على شرفة طويلة ترتفع عن الأرض بضع درجات خشبية. والجهتا إلى نهاية الشرفة حيث فتحت ريتا باب الغرفة الأخيرة وهي تقول:

«هذه هي غرفة آدموند. كان من المقرر أن تشاركيني غرفتي على أن ينزل مانويل في غرفة آدموند، ولكن لا داعي لذلك الآن فأنت زوجته».

ثم اجسست ريتا وهي تنظر إلى ديليا قائلة:

«أعتقد أنه ليس لديك مانع من مشاركة زوجك غرفته؟»

فرقت ديليا بسرعة:

«بالطبع لا».

ولكنها كانت تسأل نفسها عما إذا كان آدموند سيعترض على ذلك. كانت الغرفة معتمة غير متجددة الهواء، ولكنها كانت نظيفة للغاية. وكان فيها سريران أحاطت بهما شباك للوقاية من التاموس. وفي أحد أركان الغرفة باب يؤدي إلى حمام صغير. ولم يكن هناك أي شيء خلاف ذلك سوى حقيبة سفر وضع عليها قفل.

قالت ريتا وقد لاحظت دهشة ديليا لوجود القفل على الحقيبة:

«أنا هنا لا نترك شيئاً دون أن نوصده وليس ذلك لأن الناس يسرقون، ولكن لأنهم اعتادوا أن يتقاسموا كل شيء فيما بينهم، لذلك فهم يفترضون أن ما نملكه نحن يعتبر أيضاً ملكاً لهم».

والنفت ديليا خلفها لتجد عدداً من المنود وقد تبعوها إلى الغرفة، ووقفوا يحلقون في حقايقها التي وصلت قلبها، وتقدم بعضهم ليلمسها، فشمعت ديليا بالخرق وهي تقاوم رغبتها في الفرار منهم وهم يتلمسون شعرها ورداءها والميدالية التي تتدل من عنقها.

فقالت ريتا بأسمة:

«يتوقعون أن تقدمي لهم بعض الهدايا. هل أحضرت شيئاً معك؟»

وفتحت ديليا إحدى حقائبها، فتجمعوا حولها في ترتب، أخرجت بعض الحلوى ووزعتها عليهم، فأخذوها فرحين وخرجوا من الغرفة.

وقالت ريتا وهي تخرج:

«أعتقد أنك تريدن الاغتسال، وتغيير ثيابك. غرتنى ملاصقة لك. وعندما تستعدين، سأكون في انتظارك».

وبعد أن اغتسلت ديليا وبذلت ثيابها، التفتت مع ريتا الى مبنى كبير يشبه المخزن. له سقف ولكن ليست له جدران.

وعندما وصلنا الى المكان، كان لويز ومانويل يستلقيان فوق بعض الشباك بدخان السيكار ويتحدثان. نزل لويز من فوق شبكة النوم عندما رأى ديليا ورغب بها قائلاً:

«سنقوم بجولة في أنحاء المكان. تعتبر بوستو أورلاندو أحد أهم المواقع التي يتكون منها المركز العام لرعاية القبائل الممتد الى الداخل لآلاف الكيلومترات. وفيه المستشفى المعد لاستقبال المرضى من القرى النائية حيث يمكن أيضاً إجراء بعض الجراحات البسيطة».

وتوجهنا الى المستشفى التي كانت تقع في مبنى حجري، جدرانه سميكة تمتع شرب الحرارة الى الداخل. وفي مدخل المستشفى حيث كانوا يحتفظون بالمعدات والامدادات الطبية، قدمها لويز الى الممرضة التي سألها بعض الأسئلة بالبرتغالية. فأشارت الى أحد الأبواب في الطرف الآخر من المدخل.

وقال لويز محدثاً ديليا:

«ادموند هنا كما توقعت. لقد سعدنا جداً بحضوره الى المركز، لأن الطبيب الذي يعمل معنا عاد الى بلاده في اجازة، ومعظم الأطباء هنا من المتطوعين».

شعرت ديليا بالاضطراب وهما يتجهان الى عتبر المرضى، وكانت حبات العرق تتساقط على جبهتها، ولكنها حاولت التماسك لتبدو طبيعية.

وعندما دخلا الى العتبر، رأت ديليا رجلاً يتخفى فوق أحد الأسرة في نهاية

العتبر وولفت الى جانبه ممرضة متقدمة في العمر.

عرفت ديليا انه ادموند، برغم أنها لم تر وجهه. كان شعره يلصق تحت أشعة الشمس البسيطة التي تسبّلت الى العتبر وقد تركه يطول، وأحاطه من فوق جبهته بشريط ملون كما يفعل الهنود.

وعندما التفتت ديليا، كان ادموند يتحدث بصوت هادئ، بالبرتغالية، رفع وجهه فجأة قرأها، برقت عيناه الزرقاوان واتسعتا من الدهشة وهو يحاول بصره بينها وبين لويز ولكنه لم ينطق بحرف واحد.

فصاح لويز قائلاً:

«يا إلهي، ما هذا يا ادموند؟ انك رجل بارد حقاً، ألا تعرف هذه المرأة الصغيرة؟» واستعاد ادموند حالته الطبيعية سريعاً، ونظر الى ديليا بشبات وقد ارتسمت على فمه ابتسامة سخرية خفيفة. حاولت ديليا أن ترسم ابتسامة على شفثيها وهي تقاوم رغبة عشيقته في الارتقاء بين أحضانها.

وقال ادموند بحبيها في صوت هادئ:

«أهلاً؟ يا ديليا، انها حقاً مفاجأة لي».

ثم نظر الى لويز وهو يضيف:

«كنت أعتقد أنك تتوقع وصول صحفية».

«هذا صحيح، انها زوجتك التي حضرت بصفة صحفية لعدد لقاءات معنا تساعدنا في كتابة بعض المقالات».

فتسائل ادموند في دهشة وهو ينظر الى ديليا:

«هل حقاً ما يقول؟»

فهزت ديليا رأسها بالإيجاب، وهي تخشى أن يفضح صورتها ما يعتمل داخلها من مشاعر فأضاف ادموند:

«إن هذا سيفيدك كثيراً، أهنئك على هذه الوظيفة الجديدة».

فشكرته ديليا بصوت منخفض، ولاحظت أن لويز يراقبها باهتمام.

فقلت:

«كيف جالك؟»

وكان ادموند قد فقد الكثير من وزنه، وبدأ أكثر نحولاً، ولكن عيشه احتفظنا ببريقها. ورة بعدم اكتراث:

«بخير»

ثم التفت الى لويز يسأله:

«لماذا لم تخبرني بأن ديليا ستحضر الى المركز؟»

فروت ديليا متلعثمة:

«أنا... أنا ظلمت منه ذلك... وسأشرح لك الأمر فيما بعد».

فقال لويز:

«نعم. نعم. يمكنك أن توجلا الحديث حين عودتك الى غرفتك. والآن نتركك لتنتهي من عملك وسأصحب ديليا في أنحاء المكان».

لم تحاول ديليا النظر الى الخلف وهما يغادران العنبر حتى لا تفضح مشاعرها أمام ادموند.

وعندما خرجا من المستشفى، سألتا لويز وهو يهز رأسه بدهشة:

«لا أستطيع التصور أنت وادموند تتقابلان بدون أي عناق! إن أي أحد يراكما، يعتقد أنكما لستا سعيدين بهذا اللقاء... أليس سعيدة بقاء ادموند؟»

«بالطبع. سعيدة جداً».

كانت ديليا صادقة في هذا القول، بل كانت أكثر من سعيدة ببقاء ادموند من جديد، ولكنها حاولت كل جهدها لتكتم هذه الفرجة.

ورأت أنها يجب أن تعطي تفسيراً للقاء البارد بينها وبين ادموند، فأضافت:

«ولكن أنت تعرف أننا لم نتعود اظهار عواطفنا امام الغرباء».

«أه، الآن وضع الأمر لي. لقد نسيت أن الانكليز يخجلون من اظهار عواطفهم في الأماكن العامة. إن اللقاء الحقيقي سيتم في غرفتكما. وربما يكون هذا أفضل».

ومثل في الأصابع ٣٨

والآن تعالي، سأصحبك داخل أحد أكواخ قبيلة كورو. وهي إحدى القبائل التي تنتمي الآن بالمركز».

وكان المكان معتماً ورطباً بالداخل. وهناك رجل وامرأة يظهران السمك فوق أرض الكوخ. والدخان الناجم عن نيران الطهي يخرج من فتحة في السقف.

وبعد أن خرجا من الكوخ، سارا ببطء عائدين الى المبنى. وكان لويز يشرح لديليا خلال الطريق كيف تسير الأمور في المركز.

لم تكن في حالة تسمح لها باستيعاب كل ما يقوله كانت في حالة يرثى لها بسبب الرطوبة الشديدة وحرارة الشمس. اقترح عليها لويز أن تستريح فوق إحدى الشبكات المعلقة في المبنى حتى يعود اليها.

ولم تكن ديليا تعرف كيف تتسلق الشبكة المعلقة، المستعانة الى الحد الذي يمكن لشخصين الاستلقاء عليها معاً. فجلست على حافتها بحذر وهي تخشى السقوط منها.

وفجأة سمعت صوت ادموند يقول لها:

«ادخلي حذاءك قبل الاستلقاء فوق الشبكة».

ونظرت الى أعلى بدهشة فأتت ادموند يمز بها متجهاً الى الشبكة الأخرى، وقفز اليها بسهولة بعد أن خلع حذاءه.

انحنت ديليا تخلع حذاءها، وألفت بنفسها فوق الشبكة كما فعل ادموند. وبالرغم من ذلك فإن ديليا لم يمكنها الشعور بالراحة، فقد أخذ الناموس في مهاجمتها وهي تحاول أن تبعده عنها.

وقذف اليها ادموند بعلبة سكاثر، فالتفتت اليه وكان يستلقي في استرخاء تام وقد بدلت إحدى ساقيه من فوق الشبكة. نظر اليها في سخرية من خلال دخان سيكارته وهو يقول:

«التدخين هو الوسيلة الوحيدة لابعاد الحشرات. ما لم تكوني ترغيبين في طلاء جلدك بالسائل الذي يستخدمه الهنود. ألم تحضري معك كمية من السكاثر؟»

«نيلي. ولكنها في الحقيقة».

أخرجت ديليا سيكارة وأشعلتها. ولم تكن قد دثنت من قبل، فأخذت تسعل عندما دخل الدخان إلى حلقها، ودفعت عيناها. وسعت ادموند وهو يضحك عليها، فتولاهما شعور بالحزن. كم هو قاس معها. كيف يكون بهذه القوة في الوقت الذي تتلى نفسه بالمشاعر تجاه الشعوب البائسة المحتاجة إلى مساعدة! ولكن ربما لا يجيبها ولم يجيبها أبداً.

وبعد أن هدأ سعالها، سألتها ادموند:

«هل كنت تعرفين أنني في هذا المكان؟»

«تسلّمت خطأً عرفت منه أنك وصلت إلى هذا المكان بعد حادث الطائرة في حالة برش لها. أوه يا ادموند. لماذا لم تتصل بي؟ لماذا لم تخبرني بأنك ستذهب إلى البرازيل؟»

نظر إليها ادموند في حيرة، وسكت قليلاً ثم قال:

«في الحقيقة لم أكن أظن أنك تهتمين بعرفة مكاني. انني أتذكر تماماً أنك كنت أسفة في آخر لقاء لنا لأنني عدت وأفسدت عليك كل شيء. ثم خرجت من المنزل، ولما لم تعودى اعتقدت أنك لا ترغبين في رؤيتي كما قلت، فتركت المنزل وسافرت». وكانت ديليا تشعر بالندم لأنها تسببت في هذا الفراق الذي وقع بينها وبين ادموند. بعد ثلاثة عشر شهر من الزواج.

وأضاف ادموند في برود:

«أنني متدهش لأننا ما زلنا زوجين. اعتقدت أنك حصلت على الطلاق. وأنتك تزوجت بيتر».

«ولكن كيف يحدث ذلك؟ أنني لم أكن أعرف مكانك».

«إن هذا لا يهم. فإن بحامياً ساهراً مثل بيتر يمكنه التغلب على هذه العقبة والحصول على الطلاق».

«نعم. كان يمكنه ذلك بالفعل. ولكن... ولكن أنا طلبت منه ألا يفعل ذلك».

رمان في الأصابع ٣

فسألها في برود:

«ولماذا؟»

«لأن. لأنني لم أكن متأكدة. لم أكن أعرف».

وتوقفت ديليا عن الحديث، فأن مرقف ادموند العدائي منها جعلها تكتم حقيقة مشاعرها.

وانتهت ديليا إلى صوت ضحكات، فالتفتت لترى عائلة خندية تسير في طريقها إلى الشاطئ، بسعادة واضحة. وقفت في هذه اللحظة لو أنها تشعر بمثل هذه السعادة التي لا يعكس صبرها شيء.

ثم رأت ادموند يلفز من فوق فراشه المعلق، ينحني ليضع خذاه، قبلها لها كأني شخص يداني. وتذكرت قول خالتها مارشا بأنه يجب الحياة البدائية والذهاب إلى الأدغال للعيش مع القبائل. وقالت ديليا تحدثت نفسها لا بد أنه سعيد في هذا المكان حيث يعيش حياته كما يحلو له.

تقدم ادموند، قرف أمامها وأخذ ينظر إليها وهي مستلقية فوق فراشها المعلق، ثم قال:

«يبدو أنك تشعرين بالحر. هل تشعرين برغبة في السباحة».

«أليست هناك خطورة من السباحة في هذا النهر؟»

«لا. أنني أرئدي ملابس الاستحمام تحت الشورت. إذا كنت تريدان الاستحمام في النهر، فلازمي لتغيير ثيابك وسأكون في انتظارك هنا بعد عشر دقائق. هل تعرفين مكان حفاتيك؟»

«نعم. في غرفتك. لقد طلبت مني ريتا مشاركتك غرفتك. أرجو ألا يضايقك هذا».

فرز بعدم تكرار:

«ولماذا يضايقني. أذهبي وبدلي ثيابك، ولا تنسي أن تلبسي خذائك. فإن المكان مليء بالحشرات الصغيرة».

رمان في الأصابع ٣

وعندما وصلت ديليا الى غرفتها، رأت جماعة من الهنود يجلسون في الشرفة.
وعندما رأوها وقفوا وتبعوها الى الغرفة. وشعرت ديليا بالخوف، ولكنها رأتهم
يشيرون الى حقيبتها فتذكرت الحلوى أخرجت بعضها ووزعتها عليهم، فغادروا
الغرفة على الفور.

أغلقت الباب وأوصدته من الداخل، ولكنها لمحت الهنود وهم يتلصصون من
خلف شقوق النافذة المغلقة لينظروا اليها.

وعندما خرجت وهي ترتدي ثوب الاستحمام، تبعوها الى حيث كان آدموند
في انتظارها. وعندما رأها ابتدوها قائلين في سخرية:

«أرى أن لك جمهوراً من المعجبين».

فقال لها ينجهان الى الشاطئ الرمل.

«انهم معجبون بالحلوى التي أحضرتها معي».

فسألها وهو يخلع قميصه وينظرونه القصير:

«أي نوع من الحلوى؟»

«إنه من حلوى تاليوت، ولكن لماذا يجب الهنود الحلوى الى هذه الدرجة؟»

«لأنهم لا يتناولون الحلوى ولا يستعملون السكر، ليست لديهم فاكهة طازجة.

أرجو أن تستلقي لي بعضاً من الحلوى التي أحضرتها معك».

وجرى آدموند لينزل الى النهر، وتبعته ديليا وهي تشعر بالسعادة لأنها
معه.

استلقت ديليا على ظهرها فوق الماء، وفوجئت بعدد من الأطفال الهنود

يتصايحون وهم يتقاذفون الكرة في الماء وقد أحاطوا بها، وألقى أحدهم بالكرة

اليها ووجدت نفسها تشترك معهم في اللعب، ثم انضم اليهم آدموند. واستمروا

يلعبون للثورة من الوقت ثم خرجت ديليا من النهر وهي تشعر بالسعادة،

واستلقت فوق منشفتها وهي تراقب آدموند الذي تبعها. جلس الى جانبها وقد

مد يديه الطويلتين واستند الى ذراعيه. وقال متأملاً في الأفق:

«السياحة هنا ليست مثل السياحة في البحر، ولكنها أحسن من لا شيء. كنت أختل

نفسى أسبح في البحر عندما فقدت في الأدغال».

«هل تأملت كثيراً؟»

«إن أسوأ ما مر بي هو سقوط الطائرة واكتشافي أنني الشخص الوحيد من بين

الركاب الذي كان لا يزال على قيد الحياة. وبعد ذلك تسلطت على تفكيري فكرة

واحدة، هي الوصول الى المركز في أسرع وقت ممكن، وقد استعنت بيوصلة

الطائرة التي لم تدمر في الحادث لمعرفة طريقي».

«كم استغرقت من الوقت لتصل الى هنا؟»

«أخبرني لويز: بعد ذلك أنني أمضيت ثلاثة أسابيع في الأدغال قبل الوصول

الى المركز».

«ومن كان معك على الطائرة؟»

«الطيار وشخصان آخران تابعان لاحدى المنظمات الدولية، وكنا في طريق عودتنا

من فينيتال بعد الانتهاء من بعض البحوث. المؤسف حقاً أننا لم تكن نرغب في

مغادرة فينيتال فقد قضينا وقتاً ممتعاً فيها».

وتوقف آدموند عن الحديث وهو يستلقي على المنشفة ويرفع يده ليحجب

أشعة الشمس عن عينيه. ثم أضاف:

«وبعد موت انغريد و نيل أصبحت الشخص الوحيد المتبقي من الفريق».

ونظرت ديليا اليه بطرف عينا وقد شعرت برنة أسي في صوته فسألته في

حذر:

«وهل كانت انغريد و نيل أيضاً متخصصين في الطب الاستوائي؟»

«لا. نيل كان متخصصاً في التاريخ الطبيعي. وانغريد على ما أعتقد كانت

متخصصة في علم الاجتماع. لقد كانت أروع من قابلت في حياتي».

ثم توقفت لحظة قبل أن يضيف بصوت هامس كمن يتحدث لنفسه:

«لا أستطيع أن أصدق حتى الآن أنني لن أراها مرة أخرى».

وارتجفت ديليا وهي تستمع الى هذه الصرخة التي خرجت من أعماق
ادموند وتولأها الفضول لتعرف المزيد عن هذه المرأة. ونظرت الى ادموند
الستلقي بجوارها. وشعرت برغبة شديدة في أن تلمس يدها لتلمس صدره العاري
ولكنها أفاضت الى نفسها وانتفضت واقفة فرفع ادموند يده عن عينيها ونظر
اليها بدهشة متسائلاً:

«ماذا حدث؟»

«لا شيء... انني... انني أريد العودة الى الغرفة لأضع بعض الثياب. الشمس
حارقة هنا. هل يمكنكني أخذ منشئي؟»

فنهض ادموند واقفاً وهو يسحب المشقة ويسلمها لها قائلاً:
«سأذهب معك. فانتني أريد أن أردي قميصاً نظيفاً»

وفي طريقها الى غرفتها، قابلت ريتا التي أبلغتها بأن طعام الغداء قد
أُعد.

وقالت تحدثت ادموند:

«لماذا لم تقل لنا ان لك زوجة على هذا القدر من الجاهل؟»

ولكن ادموند تجاهل حديثها. ومضى الى الغرفة بدون أن يلتفت اليها.
وتبعته ديليا الى الغرفة. ولم تجد أحداً من الخنود في الشرفة هذه المرة. وخلع
ادموند ثوب استحمامه في الغرفة بدون أي حرج ووضع قميصاً وشورتاً
نظيفاً. أما ديليا فيدلت ثيابها في الحمام. وعندما خرجت كان ادموند يجلس
على حافة الفراش يقرأ في صحيفة أحضرتها معها. وأدركت على الفور أنه فتح
جرائدها. فتولأها الغضب للحظة. وكانت على وشك أن تقول له انه لا يحق له
التفتيش في حاجياتها بدون إذن منها. ولكنها تراجعته وهي تفكر بأن ادموند
لم يفعل ذلك عن قصد. وأنه مثل الخنود يعتقد أن من حقه مشاركتها في كل
شيء.

نظر ادموند اليها وأخذ يتفحصها بعينه ببطء. ثم قال:

رمال من الأصابع ٢١

«ريتا على حق فأنت جميلة. لقد نسيت كم أنت جميلة».

وارتجفت ديليا. وشعرت بالسعادة لأنه ما زال يراها جميلة ولكنها استاءت
لأنه نسي ذلك.

ثم أضاف ادموند:

«ولكن لا بد أن يكون بين ديفيز. فقد علمه ليرسلك الى هذا المكان لتكتني له
مفاتيح».

كانت تود لو تقول له أنها حضرت الى هذا المكان من اجله فقط ولكنها
تراجعت. كانت تشعر أنه ما زال يتخذ حيلها موقفاً عدائياً. فقالت:

«ولماذا لا يرسلني بين ديفيز لقد عملت معه لفترة طويلة. وكان عليه أن يتبع لي
مثل هذه الفرصة لأثبت كفاءتي».

«أعرف ذلك. وأنا سعيد لأنه أتاح لك الفرصة أخيراً. ولكن كان يمكنه أن يرسلك
الى أي مكان آخر أكثر ملاءمة لك. فان مثل هذه الأدغال ليست المكان المناسب
لك».

فقالت بحجة:

«انني لا أرى سبباً لذلك. فان نساء كثيرات غيري حضرن الى هذا المكان وأقمن
فيه. لقد أخبرتني بنفسك عن السيدة التي كانت تعمل معك في فيشبال. وإذا
كان بإمكان هذه السيدة السفر الى الأدغال والعيش بين القبائل البدائية.
فيمكنني أنا أيضاً أن أفعل ذلك».

فرد ادموند بصوت هادي. وهو ينظر من جديد الى الصحيفة:

«ان انغريد كانت شخصية لا مثيل لها».

فقالت ديليا وقد بدأت تشعر بالغيرة:

«تعني أنني لست مثلهما».

«ليس تماماً».

فقالت ديليا بانفعال:

رمال من الأصابع ٢٢

«أعتقد أنك لا تريد وجودي في مثل هذا المكان، ليس لأنه غير مناسب لي. ولكن لأنك لا تريدني معك».

فقال بانفعال:

«إن ما أريده لا دخل له في هذه المسألة. ما كان يجب أن محضري الى هنا».

وشعرت ديليا بالاستياء، فبدل أن ينعا بلقائنها هاها يتساجران من جديد، وهما هي تغار من امرأة لم تعد على قيد الحياة، فانفجرت قائلة:

«أناك ما زلت كما أنت ولم تتغير. انت لم تردني أبداً الى جانبك. ماثويل سانتوس أحضر زوجته معه، أما انت فتريدني بعيدة عنك. كان علي أن أبقى وحيدة في لندن. انتظرك. لم أكن بالنسبة لك سوى فتاة تشاركها الفراش عندما تعود الى لندن، ثم لا تلبث أن يعاودك الحنين الى الأدغال فتتركها من جديد. انك لم تكن تريد زوجة. ولذلك ترددت كثيراً قبل أن تقدم على الزواج».

توقفت ديليا عن الحديث وقد شعرت بالدموع تتجمع في عينيها. ونهض ادموند في حركة مفاجئة، ووجدت ديليا نفسها تتراجع الى الخلف رغماً عنها. ولاحظ ادموند ذلك فقال لها:

«لا تخافي فأنتي لن أملك. ربما أكون قد نسيت بعض الأشياء ولكنني لم أنس ما حدث في آخر لقاءنا عندما لمستك. كما أنني لم أنس السيب الذي دفعني للزواج منك وإن كان يبدو أنك قد نسيت. والآن. اذا كنت على استعداد. فلنذهب لتناول الغداء».

واقبحه ادموند الى الباب وخرج من الغرفة، وتبعته ديليا مسرعة لأنها لم تكن تعرف المكان الذي يقدم فيه الطعام.

دخلوا الى أحد المباني حيث وجدا لويز و ماثويل و ريتا والمرحطين يجلسون الى إحدى الموائد. ونظرت اليها ريتا وهي تبتسم، وأشارت الى مقعد خال بجوارها. وقالت لديليا:

«تعالي اجلسي بجانبني يبدو عليك الارهاق بسبب الجو الحار والرطوبة».

وجلست ديليا لتناول الطعام المكون من الأرز والفاصوليا ونبات استوائي يطلق عليه التبوكا. تناول الجميع طعامهم بسرعة، ثم بدأوا في تناول القهوة وتدخين السكاثر لايعد التاموس عنهم. فقالت ريتا:

«والآن يمكنك أن تأخذي قسطاً من الراحة في غرفتك. وبعد ذلك، ستذهبن معنا أنا وادموند و ماثويل الى إحدى القرى القريبة لزيارة رجل مريض».

كانت ديليا بحاجة الى الراحة فعلاً. الا أنها لم تتمكن من النوم على الفور بسبب الانفعالات النفسية التي كانت تتصارع داخلها.

ولم يحضر ادموند لينال قسطاً من الراحة. فظننت ديليا انه لا يريد أن يبقى معها. وأخذت تحدث نفسها قائلة: «لماذا حضرت الى هذا المكان وماذا كنت أتوقع. هل كنت أتوقع عودة المياه الى مجاريها مع ادموند بنفس السرعة التي دخل بها الحب الى قلوبنا؟»

أخذت ديليا تعتقد أن ادموند قد تغير، فقد بدا لها انساناً غريباً بارداً متحفظاً. وفكرت في أنه ربما يعتقد أنها قد تغيرت أيضاً. لقد باعدت الأيام بينها فترة طويلة.

٣ - دعي كل شيء للقدر

استقرت ديليا في النوم أخيراً. وعندما فتحت عينيها من جديد، نظرت حولها بدعشة وهي لا تكاد تذكر أين هي. وفجأة تنبّهت إلى صوت الباب يفتح برفق، فتذكرت أنها لم توصد من الداخل. ورأت وجه ريتا يطل من فتحة وهي تهمس قائلة:

«هل أخذت قسطاً من الراحة؟ إن الوقت قد حان لذهابنا».

فقفزت ديليا من الفراش وهي تسأل ريتا:

«هل يمكنك الذهاب بهذه الملابس؟»

«بالطبع. يمكنك ارتداء أي شيء مريح، نحن هنا في الأدغال ولنا في نيويورك أو لندن. ولا تنسى أن محضري معك دفتر وآلة التصوير. كما لا تنسى إحضار بعض الهدايا لرجال القبيلة التي سنقوم بزيارتها. لأنهم يحبون الحلوى والسكر والصابون أيضاً».

وسألت ديليا ريتا وهما تتجهان إلى الجيب:

«كم مضى عليك في بوستو أورلاندوا؟»

«حوال ستة أشهر. مانويل يفضل العمل هنا في الأدغال مع عمه. ولكنني أشعر بالتمزق. وأنا حائرة بين رغبتني في البقاء إلى جواره هنا، وبين لفتني للبقاء بجانب أطفالي».

«أطفالك؟ كم طفلاً لديك؟»

فتنهدت ريتا وهي تقول:

«ثلاثة. كلهم أولاد. ثمانية أعوام وستة وأربعة».

«ومن يعني بهم الآن؟»

«أمي وأخواتي. أنا مطمئنة لعنايتهن الفائقة بهم، ولكنني أفتقدنهم بشدة».

«ألا يمكنكهم المجيء أثناء العطلة؟»

«مانويل يريد ذلك، لكن لا يمكنني المجازفة بإحضارهم لأن الملازيم منتشرة هنا ولم يسلم أحد منها. لويز يصاب بها كل شهر مما أضر على صحته، ومانويل أصيب بها أكثر من مرة. كما أصبت بها أنا أيضاً. أما بالنسبة للأطفال، فإن الإصابة قد تكون مميتة».

«ولكن من الممكن الوقاية منها الآن. لقد أحضرت بعض الحبوب التي تقيني من الإصابة».

«هذا حقيقي، ولكن يجب المواظبة على تناول هذه الحبوب، وهذا يحتاج إلى مال كثير، وهو السبب الذي أتى بزوجك إلى هنا. فهو يقوم بأعداد تقرير عن الأموال اللازمة للإمدادات الطبية. وسيقدم هذا التقرير إلى المسؤولين لدى عودته إلى لندن. قدمت تقارير بشأن هذه المسألة من قبل، ولكن أجدأ لم يتحرك».

فقالت ديليا مؤكدة:

«أنا على ثقة بأن آدموند سيدفعهم للقيام بأي عمل».

وكان مانويل يتولى قيادة السيارة، فجلست ريتا بجانبه. وجلست ديليا مع آدموند في المقعد الخلفي، كما جلس معها شاب هندي يدعى جيكاو، يحمل معه بندقية. ويرتدي قبعة عريضة من القش يتدل من تحتها شعره الأسود الطويل.

كان آدموند يضع قبعة مماثلة، وقد بدا انشغافاً ساعده على ذلك قوامه التحيل المتناسق وملاحمته الدقيقة.

وقفت ديليا وهي تنظر إليه أن تمد يدها لتلمسه، لم تعد تقوى على كتمان حبها له أكثر من ذلك، ولكنها تقاسكت، وسألته والسيارة تشق طريقها وسط

فلماذا يحمل الرجل الهندي بندقية؟

«من أهم الأشياء التي يعرفها من يعيش في الغابة، هو ألا يذهب إلى أي مكان من غير بندقية أو سلاح، لأنه من السهل أن يضل الإنسان طريقه بين الأدغال. وعندما يضطاد أي حيوان للحصول على غذائه،

وهل كانت معك بندقية عندما ضللت طريقك في الأدغال؟»

«نعم، أخذت البندقية التي كانت موجودة في الطائرة.»

ثم نظر آدموند إلى القبة التي كانت ديليا تمسك بها وقال:

«يجب أن تضعي القبة لحماية رأسك من الحشرات التي قد تسقط من فوق الشجرة.»

وأ سرعت ديليا بوضع القبة فوق رأسها. وفجأة سقطت على ركبتيها حشرة كبيرة عليها شعر غزير، فصرخت فرقة وهي تحاول إبعادها بيدها. ولكن آدموند تهرأ قائلاً:

«لا تلمسيها بيدك، إن شعرك سام.»

ثم أخرج سكينه، وأزاح بها الحشرة بعيداً، وهو يقول:

«قلت لك مراراً أنك لا تصلحين للعيش في الأدغال.»

ثم أضاف يؤنبها:

«أنت من الضروري صراخك هذا؟»

وضحكت ريتا ومانويل. وشعرت ديليا بالخجل، فقالت بأزبداء:

«انتي، انتي لم أستطع أن أصنع نفسي. فأنا لا أطيق رؤية الحشرات أو النعابين.»

لقد آدموند:

«أنا أيضاً لا أطيق رؤيتها، ولكنني لا أصرخ أو أبالغ في اظهار خوفي إذا

صادفتني بعض منها.»

فقالت بحجة:

«هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها الأدغال، ولم تتح لي الفرصة بعد لأرى ما إذا كنت أستطيع العيش فيها أم لا.»

«لن تحتاج لك الفرصة لذلك. لأنك ستعودين إلى برازيليا غداً. وعندما أعود إلى المركز سأطلب من لويز ذلك، لأن صحتك لا تساعدك على البقاء في مثل هذه الأجواء.»

فأجابت ديليا بحدة:

«ولكن هذا ليس صحيحاً، فأنا قوية مثلك تماماً. وكلنا نعرف أن النساء هن قادرة على التحمل أكثر من الرجال.»

فقال آدموند ببرود:

«بعض النساء لديهن مثل هذه القدرة. ولكن ليس من الضروري أن تكوني واحدة منهن. قد تضايين بالملاريا بالرغم من أية احتياطات.»

فقالت ديليا بصوت مختق بالبكاء:

«وهل يمكنك هذا؟»

«بالطبع ينبغي، الأطباء لديهم ما يكفيهم من متاعب العناية بالمرضى المبتدئين.»

«حسناً، يمكنك أن تفعل ما تريد، ولكنني لن أعود إلى برازيليا إلا بعد أن أنتهي من العمل الذي حضرت من أجله.»

ثم نظرت إليه في تحد وهي تضيف:

«أنتك لن تستطيع التخلص مني بهذه السهولة، فان لويز يؤيدني في موقفتي.»

ولم يرد آدموند بل رمقها بنظرة تهكمية قبل أن يشيع بوجهه بعيداً.

وبعد أن وصلت السيارة إلى منجني في المر، دخلت إلى منطقة متسعة رأت فيها ديليا ثلاثة أكواخ كبيرة أسقفها على هيئة القباب تحيط بكوخ آخر

مستطيل الشكل.

وما أن اقتربت السيارة، حتى خرج عدد من الكلاب الهزيلة من الأكواخ يتبع

بشدة، كما جرى عدد من الأطفال العراة يجتازون ولكن ما أن توقفت السيارة

حتى توقف تباح الكلاب وبدأ الأطفال يغودون وهم يحملون بالسيارة
وبالأشخاص الذين نزلوا منها.

وتجمع عدد من الرجال المتروك، وكانوا طوال القامة يطلون وجوههم باللون
الأحمر، ويحيطون أيديهم بشرائط من الريش زاهية الألوان. وأخذ الجميع
يتحدثون بصوت واحد ولهجة غريبة، فقالت ريتا تشرح الأمر لدليلا:
«أنهم يشعرون بقلق شديد لمرض الرجل العجوز. ويريدون من
ادموند ومانويل أن يتوجها اليه فوراً. أما نحن فإن جيكارو سيصحبنا
في جولة داخل القرية.

وأخرجت ديليا من حقيبتها الهدايا التي أحضرتها معها ووزعتها على المتروك
الذين تقبلوها بفرح بالغ. وتقدمت سيدة مسنة، وأخذت بيد ديليا تقودها الى
مدخل أحد الأكواخ وهي تشير لها بالدخول.

وكان الجو رطباً ومتعباً داخل المكان، وقد جلست بعض النساء على الأرض
يضعن السلال. وتذلت في جانبي المكان بعض شباك النوم وقد استلقت عليها
سيدتان لحملان طفلين صغيرين.

وقالت ريتا تترجم لدليلا حديث جيكارو:
«أن حوال عشرين شخصاً يعيشون في كل كوخ، وكل عائلة لها ركنها الخاص
بها، وتقوم بتخزين غذائها ومعدات الصيد الخاصة بها فوق إحدى المنصات
المقامة في وسط المكان.

وقالت ديليا بدعشة:
«أن الأطفال في منتهى الهدوء، ألا يبكي أحدهم أبداً»
فقالت ريتا:

«أنني لم أسمع بكاء طفل منذ حضوري الى الأدغال، أعتقد أن السبب يعود
للحياة البسيطة التي يعيشها الوالدان. مما يتيح لها الوقت اللازم لرعاية
الأطفال ومنحهم الحب والحنان. لويز يقول يمكننا أن نتعلم منهم فن الحياة،

وأعتقد أنه على حق»

ثم أضافت ريتا ب لهجة يشوبها الحزن:

«كم أعتقد أولادي. وأغنى البقاء معهم. لا أدري ماذا أفعل يا ديليا. هل أترك
مانويل وأعود اليهم. أو أحضرهم ليعيشوا هنا ويتعرضوا لخطر الإصابة
بالمalaria. انني في دوامة».

وخرجوا من الكوخ يشون بحذر بين البيقاوات والدجاج الذي كان يلتقط
الطعام من الأرض. وتقدمت السيدة المسنة إحدى السلال هدية لدليلا. وعندما
وصلنا الى السيارة، كان مانويل و ادموند قد سبقاها اليها، ووقفنا الى جانبا
يتحدثان مع شاب هندي قوي البنية زين شعره بالريش الملون. قالت ريتا
ان الشاب زعيم القبيلة.

ثم استطردت تكمل حديثها الذي بدأته في الكوخ:

«أعتقد يا ديليا أنك أيضاً تعيشين في دوامة مثلي تماماً».

ف نظرت اليها ديليا بدعشة، وهي تتساءل:

«ماذا تعنين بذلك؟ قانا ليس لدي أطفال»

«أعرف ذلك. ولكن زوجك مثل مانويل يحب العمل والعيش مع القبائل
البدائية. وسعت أن الاستاذ ودريفيز طلب من ادموند البقاء في يوستو
اورلانديو لأن مراكز رعاية القبائل تنتقل الى الأطباء ذوي الخبرة. وإذا قرر
ادموند البقاء هنا، فيكون عليك أن تفرري البقاء معه أو العودة الى
انكلترا».

وردت ديليا بصوت هامس:

«فعلأ سيكون علي أن أقرر ذلك»

ولكنها كانت تشعر في قرارة نفسها بأن ادموند لا يريد لها حتى في زيارة
قصيرة. ولذلك من غير المحتمل أن يطلب اليها البقاء معه إذا قرر الاستمرار في
عمله.

تأكدت لها هذه الحقيقة أكثر عندما اتخذ آدموند مقعده في السيارة إلى جانب مانويل حتى لا يجلس إلى جانبها في طريق العودة، إنه لا يريد بها وهي التي حضرت إلى هذه المنطقة الثانية على أمل إحياء شعلة الحب التي خبت، ولكن أصبح واضحاً لها الآن أن هذه الشعلة قد انطفأت ولم تخلف سوى الرماد! جلست ديليا صامتة في طريق العودة إلى المركز، وكانت تشعر بحزن عميق لما وصلت إليه العلاقة بينها وبين آدموند.

وعندما وصلوا إلى المركز، كان طعام العشاء معداً، فجلست تتناول بنهم شديد الأرز والفاصوليا، بينما أخذ لويز يحدثها عن البرنامج الذي أعدّه لها خلال الأيام القليلة القادمة. انصتت إليه وهي تراقب وجه آدموند بانتظار أن يفعل ما هتدأ به وأن يطلب من لويز أعادتها إلى برازيليا غداً.

وقال لويز:

«سنذهب إلى بينوروس عن طريق النهر غداً، وسيكون بإمكانك التمتع بجمال المناظر الطبيعية، ولن نصل إلى الموقع الذي نقصده قبل يومين، وفي الطريق سنقضي ليلة في العراء، ويمكنك قضاء يومين في بينوروس قبل العودة إلى بوستو أورلاندو للحاق بطائرة الامدادات العائدة إلى برازيليا».

ثم أضاف وهو ينظر إلى آدموند مبتسماً:

«وإثناء إقامتنا في بينوروس، سيتمكنك الذهاب إلى إحدى القرى المنعزلة حيث تعيش قبيلة من أغرب القبائل وأكثرها إثارة. وبعد ذلك يمكنك يا آدموند أن تعود إلى المدينة من جديد، وتقدم تقريرك الذي تأمل الكثير من ورائه».

فقال آدموند وهو يبتث دخان سيكارتته بقوة ليطرده الناموس:

«أعترف بأنني لا أريد مغادرة بوستو أورلاندو والعودة إلى المدينة، فإن حياتي هنا وزيارتي للفينتال والأماكن الأخرى كانت تجربة رائعة بالنسبة إليّ، ف لأول مرة في حياتي، عشت أيامي كما أردت دائماً أن أعيشها. حياة بسيطة لا تعقيد فيها».

ثم سحب نفساً عميقاً من سيكارتته، وهو يضيف:

«لقد شعرت في بعض الأحيان، وخاصة أثناء وجودي في فينتال بأنني أعيش في الجنة».

فضحك لويز وهو يقول:

«لا، ليس إلى هذه الدرجة، لقد احتفظنا بالجنة لدخولها مع زوجتك الجميلة، فإن الرحلة إلى بينوروس والقرية الأخرى ستكون بمثابة شهر عسل جديد لكما».

ثم التفت لويز إلى ديليا قائلاً:

«أعتقد يا ديليا أنك بحاجة إلى النوم الآن، وستفاد إلى بينوروس قبل طلوع النهار، تصبحين على خير».

كانت ديليا لا ترغب في الذهاب قبل أن يغادر آدموند المائدة خوفاً من أن يطلب من لويز ترحيلها، ولكنها شعرت بالارهاق الشديد فانسحبت من المكان واتجهت إلى غرفتها.

كان الجو حاراً داخل الغرفة، والناموس يتجمع حول المصباح الصغير الذي يضيئها، فاستخدمت ديليا مبيد الحشرات الذي أحضرته معها، وبينما كانت تعد فراشها للنوم، أنطقاً النور فجأة.

تسلّلت ديليا إلى فراشها، ووضعت فوقها الغطاء ولكنها لم تستطع التخلص من مشايقات الناموس، فاستلقت على ظهرها وهي تمتزجج قول لويز شهر عسل ثانٍ. كيف يكون هناك شهر عسل ثانٍ بينها وبين آدموند بعد اتساع الحوة بينهما إلى هذه الدرجة؟ وأخذت تحسب الأيام التي قضياها معاً منذ زواجهما قبل حوال عامين ونصف عام، ووجدت أنها لم تقض مع آدموند بالفعل سوى أربعة أشهر فقط طوال فترة زواجهما. ولذلك فكرت أنه ليس غريباً إلا تعرف عنه الكثير أو تفهم طباعه، فأنها لم تحاول أن تفهمه خلال الأوقات القليلة التي كان يمضيها معها، واعترفت لنفسها بأنها لم تحاول ذلك بالفعل، فإن كل ما كان يسمها هو أن يعود إليها بعد سفره ويعرضها الحب الذي كانت تفتقده

في غيابه.

وفي المرة الوحيدة الذي عاملها فيها بعنف ودون اعتبار لرغباتها، ثارت وتصرفت بطريقة طفولية، انها حتى لم تحاول الاستماع اليه وهو يشرح لها الأسباب التي دفعته الى هذا التصرف.

وتنهت ديليا فجأة على صوت الباب يفتح يرفق ثم يغلِق، وثرافض ضوؤه مصباح في ظلام الغرفة، وبدا وكأن ادموند تعثر في حقيبتها الموضوعة بجانب الفراش.

ثم اتجه بعد ذلك الى الحمام حيث سمعته يغتسل، وبعد ان اقترب من فراشها وضع المصباح على المائدة بين السريرين، وسمعت ديليا صوت حذائه وهو يثدف به فوق الأرض، وسمعته وهو يخلع ملابسه، ثم صوت صرير الفراش وهو يستلقي فوقه.

واطفأ ادموند المصباح، وساد الصمت لفترة، ثم سمعت ادموند يهس قائلاً:

« ديليا، هل أنت مستيقظة؟ »

« نعم. »

« أريد أن أعرف لماذا طليت من لويز ألا يخبرني بجيشك الى هنا؟ قلت انك ستشرحين لي الأمر فيما بعد. »

وشعرت ديليا بحلقها يجف فجأة، واضطربت وودت لو أن لديها الشجاعة لتخبره بالسبب الحقيقي لمجيئها الى بوسو أورلاندو ولكنها كانت تخشى أن يصددها من جديد. فقالت:

« انني، انني كنت أعتقد أنك لو عرفت بأمر حضوري، ستفادر المكان. »

« وهل يهمك هذا؟ »

« حسناً، نعم، ان هذه المسألة تهم الناس الذين بحاجة الى وجودك معهم، والذين يهمهم أن يصل تقريرك الى المسؤولين في المنطقة التي تعمل معها. »

وسألها ادموند بصوت يشوبه اليأس:

«أذلك هو السبب الوحيد؟»

فردت بلهجة حاولت أن تكون باردة:

«نعم، فان المنطقة التي تعمل معها تريد أن تحصل على هذا التقرير في أقرب وقت ممكن.»

«أعرف ذلك، وسأعمل على أن يصلهم التقرير في الوقت المحدد.»

«وهل ستعود الى انكلترا؟»

«لا، إلا إذا اضطرت.»

«ولكن، يا ادموند يجب ان تعود.»

«ولماذا أعود؟»

«لتقديم التقرير.»

«يمكنني أن أرسله، بينما أبقى أنا هنا.»

فأسرعت ديليا تقول وهي تجلس في فراشها:

«ذلك لن يكون مثل تقديم التقرير بنفسك، فمن المؤكد أن ذلك سيدفعهم للأهتمام به أكثر، وقد طلب مني السيد لويز ابلاغك ذلك.»

«هس، اخفضي صوتك، الجدران هنا رقيقة، ويمكن لماونيل و ريتا أن يسمعا حديثنا.»

فقالت ديليا وهي تخفض صوتها قليلاً:

«ولكنني لا أهتم بذلك، لماذا لا تريد العودة الى انكلترا؟»

«لأنه ليس لي هناك شيء أعود اليه، أما هنا فلدي ما أقوم به ومن يحتاج الى وجودي، وكما تعرفين لذي دخل الحاص ولست في حاجة الى أي أجر.»

وشعرت ديليا وكأن خنجرأ قد انغرس في قلبها، وصمتت لفترة وهي تحاول التغلب على مشاعر الألم التي اجتاحتها وهي تستمع الى قول ادموند، واندفعت الدموع تتساقط من عينيها وهي تفكر بأنه ربما لا يفكر أبداً في العودة اليها.

ثم قال ادموند وقد بدا عليه أنه يقاوم التعاس:

«على فكرة. طلبت من لوبيز اعادتك الى برازيليا غداً، ولكنه رفض. لا أعرف لماذا».

ثم سمعته ديليا يتشأب وهو يتقلب في فراشه، ويقول لها: «تصبحين على خير».

ولم ترة ديليا، كانت تخشى أن يعرف ادموند مكانها. وبعد فترة استغرق ادموند في النوم. أما هي فلم تتم نتيجة لاضطرابها النفسي والحرارة الشديدة في الغرفة ومضايقات الناموس.

وأخذت تتقلب في فراشها. ولما لم تتمكن من النوم، مدت يدها الى المصباح فأضاءته وسارت على أطراف أصابعها حيث التفتت الى المقعد الوحيد الموجود في الغرفة وأخذت حقيبتها يدها وأخرجت منها شريطاً من الحبوب المهدنة. وفي طريقها الى فراشها، قربت المصباح من فراش ادموند. فرأته ينام شبه عار، فتخلصت بدورها من ثيابها للتغلب على حرارة الجو ثم تناولت واحدة من الحبوب واستلقت في فراشها. وسرعان ما راحت في سبات عميق.

واستيقظت ديليا فجأة، وهي تشعر بيد توضع فوق كتفها وتهزها برفق، وسعت صوتاً يشابهها. ثم شعرت بالغطاء يسحب من فوقها ففتحت عينيها في فزع، وجذبت الغطاء لنفسه حول جسدها العاري.

ونظرت حوثاً فوجدت الغرفة تسبح في ضوء النهار. وقف ادموند الى جانب فراشها ينظر اليها وقد ارتدى ثيابه كاملة. سألته في خشونة:

«لماذا سحبت الغطاء عني؟»

«لأن هذه هي الوسيلة الوحيدة لايقاظك فوراً. لدينا موعد هذا الصباح للذهاب الى بيثوروس، وقد حان الوقت لتستيقظي وتعددي حقيبتك».

ثم انحنى فوقها وهو يتفحص عينيها، وقال:

«تبدين كأنك أفرطت في الشراب، ولم تستيقظي على الفور عندما حاولت ايقاظك. انك تبدين كالمخدرة».

ثم سألتها بحدّة وهو ينظر الى المائدة:

«هل تناولت شيئاً من هذه الحبوب الليلة الماضية؟»

«نعم، كنت أشعر بالصداع ولم أتمكن من النوم».

«هل اعتدت على تناولها؟»

«لا، انني أتناولها فقط عندما ينتابني القلق».

وجلس ادموند الى جوارها فجأة، وأمسك برسغها ليكشف على تبييضها وهو ينظر في ساعته.

شعرت ديليا بما يشبه الدوار وهي تحس بلمس أصابعه على رسغها، ورائحته التي طالما اشتاقت اليها تنفذ الى أنفها، وصدره البرونزي من فتحة قميصه الأزرق الباهت. ثم تنهت فجأة الى أنها عاربة، فأحكمت الغطاء حول صدرها وهي تقاوم رغبة عنيفة في ازاحتها جانباً والارقاء في أحضان زوجها. وجعلها ذلك ترتجف، فسألها:

«ماذا بك الآن؟»

«لا، لا شيء... انني بخير. وأياك أن تقول غير ذلك يا دكتور تالبوت».

فقال ادموند بسخرية وهو يترك رسغها:

«إن من يرى الطريقة التي ترتجفين بها وأنا أكشف عليك، يعتقد أنك لم تذهبي الى عيادة طبيب طفلة حياتك. تبصك مضطرب وهذا طبيعي بعد تناول هذه الحبوب التي لن تتناولينها بعد الآن».

ثم وقف ادموند وتناول الحبوب من فوق المائدة، وهو يقول:

«إن امرأة في مثل سنك لا تتناول مثل هذه الحبوب لتتمكن من النوم. من وصفها لك؟»

«طبيب في لندن».

«لماذا! هل كنت مرهقة؟»

ثم جلس بجانبها من جديد وهو ينظر إليها بقلق، فجمعت لتضع نفسها من اللقاء رأسها على كتفه لتقول له ما حدث لها.

وقالت بصوت منخفض:

«إلى حد ما».

«ماذا تعنين بذلك؟»

«لن أخبرك بشيء، إنه... إنه شيء لا يمكن».

«دعيني أرى أن أخبريني».

ودفعت ديليا رأسها إلى الخلف وهي تقول:

«ولماذا أخبرك، أنك لا تخبرني بأي شيء عن نفسك، وبأية صفة تريد أن تعرف هل يوصفك طبيباً أم يوصفك زوجي؟»

وبرقت عيناه كأنه تلقى صدمة على وجهه، ولكنه عاد يسألها:

«هل شعرت بالمرض في الفترة الأخيرة؟»

فأجابته بعتاد:

«لن أقول لك شيئاً».

وساد التوتر بينهما، وجلسا بمحذقان أحدهما في الآخر، ثم نهض آدموند فجأة وابتعد عنها وهو يقول:

«حسناً، كما تشائين، ولكنك لن تأخذي هذه الحبوب بعد الآن».

وقبل أن تتمكن من الاعتراض، أسرع إلى الحمام حيث ألقى بالحبوب في الحوض وأطلق عليها الماء.

فنهضت ديليا منزعجة، ووضعت رداءها، وجرت خلفه لمحاول منعها، ولكنها لم تتمكن، فقالت بعصبية:

«ليس من حلك أن تفعل هذا».

«بالطبع من حقي أن أفعل ما أريد، أولاً كطبيب وثانياً كزوجك».

ثم خرج من الحمام وهو يقول:

«سأؤكد من أنه ليس لديك المزيد من هذه الحبوب».

فاندفعت خلفه من جديد، ولكنه كان قد سبقها إلى حقيبة يدها التي قلب محتوياتها على المائدة، حاولت تجذب الحقيبة من يده وهي تقول بتوتر:

«ألك... لك كيف تجرؤ؟»

ولم تتمكن من الكلام بسبب انفعالها، فتركها واتجه إلى حجاب سفرها التي أفرغ محتوياتها، فصرخت قائلة:

«ليس لدي المزيد من الحبوب المتروكة، أرجوك أن تترك حجابي».

وتجاهلها آدموند ومضى في تفشيش الحجاب، ولما تأكد من عدم وجود شيء بها، وضع الأشياء فيها من جديد بدون أن يتم بترتيبها.

فصرخت ديليا قائلة:

«انظر إلى اللغوض التي أحدثتها».

وانحنت على ركبتيها لترتيب الحجاب، ولكن آدموند نظر إليها قائلاً:

«يمكنك أن تفعل ذلك بعد تناول الإفطار، ولا تنسي أن تلبسي حذاءك الطويل».

وانحنت ديليا لتلبس حذاءها وهي تقول:

«ما كنت أعرف أنك تشل هذه السطورة».

فالتفت إليها قائلاً ببرود:

«حسناً، أنك تعرفين ذلك الآن، أنا أيضاً لا أعرف عنك أشياء كثيرة، ولذلك فإن الأيام القليلة القادمة ستكون مثيرة لأننا سنتعرف إلى بعضنا بعضاً، أليس كذلك؟ والآن تعالي لتأخذ قهناً من القهوة».

وتغلبت رغبتهما في تناول القهوة على رغبتهما في التحذي آدموند فتبعته إلى خارج الغرفة، وكانت أشعة الشمس قد بدأت تملأ الكون، وبدأ وكأن السماء قد

أعطرت أثناء الليل، ونظرت ديليا فلم تر أحداً، فقالت:

«اعتقدت أننا سنبدأ الرحلة في الفجر، والساعة الآن قد تجاوزت الثامنة».

فقال آدموند وهو يبتسم ابتسامة خفيفة:

«إن لويز يعني بالفجر مرور أربع أو خمس ساعات على البروع، الوقت هنا لا يعني شيئاً لأننا لسنا متقيدين بمواعيد قطارات أو عربات».

ثم نظر إليها متفحصاً وهو يضيف:

«ربما أذاك البقاء هنا بضعة أيام لتتخلصي من هذا التوتر الشديد الذي تعاني منه».

وفكرت ديليا فيما يمكن أن يقوله آدموند لو عرف أن هذا التوتر سيبه قلقلها الشديد عليه، وحزنها على هذه النهاية التي وصلت إليها علاقتها.

فقالت في الحدا:

«أعتقدت أنك لا تريدني أن أبقي هنا».

«كان ذلك بالأمس، أما اليوم فالمسألة تختلف، فانت هنا بالفعل وستذهب إلى الرحلة معاً، وليس الأمر بيدي لأغير هذا البرنامج».

وهو آدموند كئيبه، وابتسم لها ابتسامة حقيقية لأول مرة منذ حضورها إلى بوستو أورلانديو، ثم أضاف:

«دعي كل شيء للقدر، وعلى فكرة، هل أحضرت معك رداء يغطي ذراعيك لأنك ستكونين في حاجة إليه لحمايةك من أشعة الشمس الحارقة فوق المركب».

وبدا لديليا التناقض واضحاً في كل ما يقوله آدموند فكيف يريد منها ألا تبقى معه، في الوقت الذي يظهر فيه لقلقه عليها كما لو كان مسؤولاً عنها:

ونظرت إليه ديليا خلسة، لقد تغير وجهه قليلاً خلال العام الذي قضاها في الأدغال، وظهرت التجاعيد لبدا وكأنه تقدم في العمر، ورأت وجهه أكثر حزناً

وهدهداً، أنها لم تر وجهه حزناً من قبل، فماذا حدث؟ هل يعود هذا الحزن الذي تراء مرتسباً أيضاً على وجه لويز إلى حياتهم وسط هذه القبائل البدائية التي

تعاني من الظروف المعيشية الصعبة؟ أو ربما تعود مسحة الحزن على وجه آدموند إلى حادث الطائرة الذي راحته صغيته أنغريد.

ومثل في الأصابع ٢١

ووجدت ديليا نفسها تسأل آدموند:

«أين فينيتال؟»

«إنها إلى الغرب من هنا، وهي جزيرة في وسط بحر متسع وتعتبر جزيرة عشواء في غاية الجمال، تم اكتشافتها منذ بضع سنوات فقط».

«لماذا وصفتها بالجنة؟»

«لأن الحياة عليها بسيطة للغاية، كنا منعزلين تماماً عن العالم الخارجي، ولم يعد الوقت له معنى بالنسبة إلينا».

ثم تنهد آدموند وهو ينظر إلى بعيد وكأنه يرى شيئاً لا يمكنها رؤيته.

فسأله ديليا وقد بدأت تشعر بالغيرة من جديد:

«هل كانت أنغريد تشاركك هذا الشعور؟»

«ربما».

ثم نظر إليها في حيرة وهو يضيف:

«على الرغم من أنني لم أسمعها أبدأ تقول ذلك».

«كيف كانت تبدو؟»

فرفع آدموند حاجبيه وهو يتسأل:

«ما هذا؟ هل هو تخيلتي صحفي للمجلة؟ وهل تفيدك أية معلومات عن أنغريد في كناية مقالتيك عن الأدغال؟»

فشعرت ديليا بالحرج، وتصاعدت الدماء إلى وجنتيها لتفضح سر اهتمامها بأنغريد.

وضاقت عينا آدموند، ثم نظر إلى أسفل وتنهد وهو يقول:

«حسناً، سأقول لك كل شيء عنها، كانت صغيرة الحجم ورفيقة للغاية، وشعرها أشقر وقصير ينهدل على جبينها، وكانت تتخلله بأصابعها وتدفعه إلى الخلف عندما تكون متفعلة».

ثم أستاذ آدموند مرفقه إلى المائدة ووضع يده على عينيها، وهو يقول:

ومثل في الأصابع ٢٢

«كانت جميلة من كل النواحي. ولقد أحببتها أنا وبيل».

وصدمت ديليا لدى سماعها ذلك، ولم تدبر ماذا تفعل فصدت يدها في عصبية لتأخذ سيكارة أشعلها لها ادموند وهو ينظر اليها فيما يشبه العتاب: «أليس هذا ما أردت معرفته. أليس كذلك؟ تماماً كما أردت أن تعرفي ما حدث بيني وبين مارشا وما إذا كنت أراها جذابة أم لا. حسناً أنت تعرفين الآن أنني أحببت انغريد. كما أحبها كل شخص عرفها. ولكن ذلك لا يعني أنني ذهبت معها الى الفراش او كانت تربطني بها قصة حب. لقد كنا أصدقاء نعمل معاً ونعيش في نفس المكان. وإذا كنت تريد من المزيد من التفاصيل، فأعرفك أن انغريد كانت تكبرني بحوال اثني عشر عاماً. والآن هل تريد من معرفة شيء آخر أم يمكن لخيالك الخصب تصور الباقى؟»

وشعرت ديليا بأنها تنهار وهي تستمع الى ادموند، وأحسّت بمهانة لم تشعر بها من قبل. ولكنها قالت في تحد: «إن خيالي ليس خصباً مثل خيالك الذي صوّر لك مرة وجود علاقة بيني وبين بيتر».

«من الممكن أن تكون هذه العلاقة موجودة الآن ايضاً. أنسيت أنني كنت أستاذ الى حقيقة ملموسة، لقد رأيتكما بعيني تتبادلان الحب».

«لم تكن تتبادل الحب».

«إذاً ماذا كنّا تفعلان بحق الجحيم؟»

«لقد حاولت أن أشرح لك الأمر، ولكنك لم تنصت إلي».

«وبعد أن تركتني وخرجت من المنزل، سمعت القصة كلها من حبيبك شخصياً».

«من بيتر؟»

«نعم من بيتر. ذهبت اليه في المساء لأرى ما إذا كنت قد ذهبت اليه».

ثم توقفت ادموند ليشتعل سيكارة أخرى، فقالت ديليا تستحسّه على

رمال في الأسفل

الحديث:

«وماذا قال لك؟»

«بدت عليه الدهشة وأنا أسأله عنك. ولكنه كان لطيفاً معي، ودعاني للدخول لأنه كان يريد التحدث معي بوصفنا صديقين متحضرين. وأنهمني بطريقة هادئة وعلمية بأنه كان من الجنون لشخص غير مستقر مثل أن يتزوج».

ثم أمسك ادموند بذاتها ونظر اليها في تهكم وهو يقول: «وافقته على ذلك بالفعل، لقد كنت مجنوناً حقاً عندما تزوجتك».

فسألته ديليا:

«هل هذا هو كل ما قاله؟»

«لا. قال لي بصراحة انك غير سعيدة».

«وأنت. هل صدقته. كيف يمكنك ذلك يا ادموند؟»

«لم يكن من الصعب علي أن أصدقته بعد ما حدث بيتا في غرفة النوم. لقد قاومتني وكأنتي شخص غريب عنك وليس زوجك الذي عاد بعد غياب عدة اسابيع قضاه في عزوبية مريرة».

نظرت اليه ديليا بأسى. فابتسم وهو يضيف:

«نعم، كنت دائماً مخلصاً لك وأنا بعيد عنك».

«كنت خائفة، وكنت غاضباً. ولم أرك من قبل في مثل هذه الحالة».

توقفت ديليا عن الحديث وفكرت لو تصارحا هكذا منذ خمسة عشر شهراً، ما حدثت هذه القطيعة بينهما.

ثم انتهت لصوت ادموند: «فائلاً».

«كنت أعتقد، في ذلك الوقت، أن من حقى الغضب».

ثم ضحك متهكماً وأضاف:

«لقد تصرفت بالطريقة التقليدية لأول مرة في حياتي. كرجل في الازمنة البعيدة

يعود الى منزله ليفاجأ بزوجه بين ذراعي عشيقها».

رمال في الأسفل

فصاحت ديليا مؤكدة:

«بيتر لم يكن عشيقى».

«بالنسبة له، كان الوضع مختلف».

«كان يكذب عليك. صدقنى يا ادموند، قبلت الخروج معه لأنه أكد لي أنك

طلبت منه ذلك. هل طلبت اليه ذلك بالفعل؟»

«ربما قلت له ذلك بطريقة عارضة، ولكننى لم أطلب منه أن يقوم بدور الزوج.

كانت هذه فكرته هو. ولم تصالفتى في البداية، ولكن بعد أن رأيتكما معاً وجدت

نفسى فجأة في موقف كنت قد قررت دائماً أن أحاشاه».

ثم نظر اليها نظرة جامدة، وهو يتسيف برأرة:

«نفس الموقف الذي رأيت أبى يلقه مريثاً».

فتسفت ديليا، وقالت:

«تعنى ان والدتك».

ثم وضعت يدها على فمها وهي تتسيف:

«لم أكن أعرف».

«بالطبع لم تعرفى. لأننى لم أخبرك بذلك».

«ليتنى عرفت ذلك من قبل. لو كنت عرفت. فربما لمهت سبب غضبك الشديد.

ولكن كيف يخبرك بيتر بأننى لم أكن سعيدة. وهل أخبرك لماذا؟»

«قال انك كنت تتوقعين شيئاً أكثر من زواجك بهي. وقال انك في حاجة الى زوج

مثله يعود الى المنزل في الخامسة من كل مساء ويشتري لك منزلاً جميلاً، ويمنحك

اطفالاً».

«ثم انفجر ضاحكاً وهو يتابع:

«يا للجهيم. لقد ألقى عليّ محاضرة عندى في فيها كل ما أفتقر اليه، حتى أننى بعد

الاستماع اليه اقتنعت بأننى ارتكبت خطأً بزواجى منك. وقررت الخروج من

حياتك بأسرع وقت ممكن. وهذا ما فعلته».

وقالت ديليا بتعاسة:

«ما كان يحق ليتر أن يقول لك ذلك. وأنت. أنت كيف تصدقته تذهب هكذا

بدون أن تقول لي شيئاً. اوه يا ادموند لماذا فعلت ذلك؟»

فقال بلهجة ساخرة:

«هجرتك يا عزيزتى. لكي أسهل لك الحصول على الطلاق. ألم يخبرك بيتر

بذلك».

ثم نهض ادموند واقفاً وهو يقول:

«سأذهب الآن لأمر على المرضى. فاذهبى الى الغرفة لتعنى حقائبك».

وخرج ادموند. فجلست ديليا تحتسى ما تبقى في قدح القهوة وهي تفكر في

كل ما قاله الآن وضح لها السبب الذي دفع ادموند الى هجرها. لقد أقنعه

بيتر أعز أصدقائه، بأنها لا تريد. ولكنه ما كان ليصدق ذلك لولا موقفها منه

في غرفة النوم.

ووضعت ديليا رأسها بين يديها في أسف وحسرة وهي تتذكر الطريقة التي

تصرفت بها مع ادموند.

ولكن ماذا يمكنها أن تفعل الآن؟ وكيف تثبت لادموند أسفها على ما

حدث؟ وكيف تتقرب اليه وقد بدا أنه لم يعد يعيها؟ وكيف يمكنها اصلاح ما

أفسده. بيتر؟ ثم رفدت كلمات ادموند لها. دعى كل شيء للقدر. أنا ايضاً لا

أعرف عنك اشياء كثيرة. ستكون الأيام القادمة مناسبة للتعرف على بعضنا

أكثر. وفجأة ابتست ديليا بشقة وذهبت لأعداد حقائبها.

٤ - الليل في الغابة

بدأت الرحلة الى بينوروس. واستقل الجميع قارباً طويلاً. وضع المحرك في المنطقة الوسطى منه. وغطى سقف استند الى قوائم خشبية.

ورفعت الأمتعة والامدادات الطبية في المنطقة السفوية التي وضع فيها أيضاً مقعدان خشبيان طويلان لجلوس الركاب.

جلس لويز و آدموند على المقعدين يتحدثان. وقد بدأ عليها الاهتمام الشديد. فما توجهت ريتا و ديليا الى السطح العلوي للمركب حيث جلسنا تحت أشعة الشمس. اما مانويل و جيكارو و ميجاي وكلاهما من بينوروس فكانوا يتبادلون قيادة المركب.

كان النهر متسعاً، وبدت مياهه داكنة، ولكن سرعان ما تغير لونها الى اللون الأخضر بعد أن التقى النهر بنهر آخر.

وسألت ديليا ريتا، عن السر في تغير لون المياه.

فقالت ريتا توضح لها الأمر.

«يوجد في الأدغال نوعان من الأنهار. النوع الأول يطلق عليه النهر الأسود والنوع الثاني يطلق عليه النهر الأبيض. وهذا النوع الأخير تسبب مياهه الأمراض، لأن فيه حشرات كثيرة. ومن المحتمل جداً أن تصابي بالمalaria اذا لدغتك بعوضة وأنت تمرين بهذا النهر. وأرجو ألا تكوني نسيت تناول الحبوب اليوم».

كانت ديليا قد نسيت تناول حبوب الملاريا بالفعل، فبحثت في حقيبتها، وأخرجت بعضاً منها، ولكنها لم تجد ماء لتناولها فقالت لها ريتا أن جيكارو سيعد القهوة حالاً ويمكنها أن تبتلع معها الحبوب.

كان المنظر رائعاً من حولهم وقد انساب المركب في رفق فوق سطح الماء. وأحاطت بهم من الجانبين الأشجار الكثيفة. امتدت الحشرة على طول ضفتي النهر. وكانت بعض المناطق تتكون من الصخور الحمراء.

وفي المناطق المتسعة من النهر، كانت الشواطئ تبدو رملية. وكان يمكن رؤية الناجيح وهي ترفد تحت أشعة الشمس، ثم تهرب عائدة الى الماء عند اقتراب المركب.

وفي هذه اللحظة، توقفت محرك المركب. وأخذ مانويل في إصلاحه. ونظرت ديليا في رجااء الى آدموند الذي صعد الى السطح ليجلس بجانبها، وسأته: «هل يمكننا السباحة في هذه المياه».

فقال لويز:

«لا. لأنها مليئة بأسماك البيرانيا المتوحشة».

فرد آدموند:

«ولكننا في فينتال كنا نسمح في الأنهار التي تكثر بها هذه الأسماك».

فقال لويز:

«لكنني لن أسمح لكما بالسباحة هنا».

فردت ديليا بسرعة وقد أفرعتها فكرة وجود مثل هذه الأسماك المتوحشة:

«المسألة لا تتم. فهل هناك من وسيلة أخرى لتخفيف حدة الحرارة».

فقالت ريتا:

«يمكنك ارتداء لباس السباحة وغلاً دلو مياه النهر لترطب به أجسامنا».

فصاحت ديليا مستحسنة هذه الفكرة. وسرعان ما خلعت ثيابها التي كانت ترتدي تحتها لباس البحر.

وأخذت هي وريتا تتبادلان صب الماء فوق جسديهما وهما تضحكان.

وكان في الأصابع ٢١

وتتأزحان. وبدأت ديليا تشعر بالانتعاش. وأقبلت في شهية على تناول الطعام الذي كان مكوناً من المخلبات والتطائر والقهوة.

وبدأ المحرك في العمل من جديد، وانطلق المركب. واستلقت ديليا تحت أشعة الشمس واسعة فوق بشرتها طبقة من الزيت الخاص بحمام الشمس على أمل اكتساب اللون البرونزي، الجذاب مثل ريتا.

وفجأة شعرت ديليا بحركة الى جانبها، فرفعت رأسها لترى ادموند يجلس بقرنها ويدلي بساقيه في مياه النهر.

ثم قال بصوت متخلخض حتى لا يسمعه الآخرون:

«بشرتك ستحترق وقد تصابين بضربة شمس».

ثم ألقى بثوبها اليها، وهو يضيف:

«امن الضروري أن أرشدك دائماً الى ما يجب عليك عمله كما لو كنت طفلة صغيرة».

ونظرت ديليا اليه وقد بدت في عينيه نظرة قاسية. ومرة أخرى شعرت بوقفة العدائي منها. فانتابها شعور باليأس بعد ان كانت معنوياتها قد ارتفعت الى درجة كبيرة.

فردت بغضب وهي ترتدي رداءها:

«لا. ليس من الضروري ذلك. لست ملزماً بأن تفعل أي شيء من أجل. يمكنني العناية بنفسى. لأننى أعرف تماماً أنك لا تحب تحمل المسؤولية. على الأقل مسؤوليتى. وهذا هو السبب بعدم رغبتك في الزواج. أليس هذا صحيحاً؟ أنت تخشى أن تخضع لأي التزام أو أن تهتم بشخص آخر بخلاف شخصك».

«حسناً. حسناً. لقد فهمت أخيراً كل شيء. ومن المؤسف حقاً أنك لم تفهم ذلك قبل ارتباطك بى. لقد أسأت الاختيار يا ديليا. فأننى لست من الطراز المطلوب. ولكننى عندما تزوجتك حاولت فعلاً أن أهتم بك».

فقاطعت ديليا ساخرة:

«بشرك وحيداً لعدة أشهر بدون أن تحاول حتى الاتصال بى».

«يا ديليا كنت أعتقد. بل كنت أمل أن تفهمى أنت. وأنت بالذات طبيعة عملي خاصة أن والدك كان يؤدي بدوره هذه الرسالة».

«ولكنه كان يأخذ والدتى معه أينما ذهب حتى بعد ولادتى».

«وقد ترويت والدتك بعد اصابتها بحصى غامضة عندما كانت في أوجال الكونغو».

فالتفت ديليا اليه بعصية تسأله:

«من قال لك هذا؟»

«مارشا في اليوم الذي التقيت بك لأول مرة. وهي تعتقد أن والدك مسؤول عن وفاة والدتك».

«أعرف ذلك، وأعرف أنها تكره والدتى. وكانت تردد دائماً انه ضحى بوالدى في سبيل مثاليته».

«هذا ما قالته لى بالفعل. وأنا لا أريد أبداً أن يوجه الى مثل هذا الاتهام في يوم من الأيام».

وصفت ديليا قليلاً وهي تنظر الى النهر. وقد انعكست عليه أشعة الشمس القرمزية وهي تغرب. ثم قالت:

«على الأقل. أناح والدتى لوالدتى فرصة الاختيار، لأنه كان يحبها. وأنت لم تمنحني مثل هذه الفرصة».

فسألت ادموند بانفعال:

«هل تمنين اننى لا أحبك. وأننى لم أحبك ابداً».

فهمست بالاجواب وهي تنتظر في رجاء أن ينفي ذلك، ولكنه سألها:

«إذا كنت تعتقدين ذلك، فلماذا أنت متمسكة بزواجنا. ولماذا لم تطلبي الطلاق. ولماذا يحق الجحيم حضرت الى هنا لتفرضي وجودك على حياتى من جديد؟»

ثم أضاف بانفعال شديد:

«يا إلهي، كم أقتنى لو أنك لم تحضري».

وشعرت ديليا في هذه اللحظة وكأنه وجه إليها صفعة قاسية، وانطلقت رغماً عنها صيحة، ولكن أحداً لم ينتبه إليها، فقد التفت الجميع في هذه اللحظة إلى ميكاي الذي صاح مشيراً إلى شاطئه، رملي يحيط بخليج شيق، ووجهه جيكارو المركب باتجاه الشاطئ.

وانتفت ديليا من جديد إلى ادموند قائلة:

«لقد حضرت إلى هنا بناء على رغبة بن ديفيز».

وأضافت وهي تغالب الدموع التي بدأت تتجمع في عينيها والتي أخفتها نظارة الشمس:

«وكما ترى لا يمكنني تغيير شيء. إذا كنت تشعر أن وجودي يضايقك، ولكن الأمر لن يطول وأرجوك ألا تكلف نفسك عنا. أمر العناية بي، فأنتي أعرف كيف أعني بنفسني بدون الحاجة إلى مساعدتك ولقد تعودت على ذلك منذ فترة طويلة».

وتركت ديليا، وانسحبت، وكانت الشمس قد غربت، وبدأ الظلام يعم المكان بالتدريج، وبدأ القمر يظهر من بين الأشجار.

ودخل جيكارو بالمركب إلى الخليج، وهبط ميجاي لربط المركب في إحدى الأشجار الضخمة حتى لا تجرفه المياه.

ونزل الجميع إلى الشاطئ، في قارب صغير يتسع لثلاثة أشخاص فقط على دفتين، وقد حملوا معهم ما سيحتاجون إليه، لقضاء ليلتهم على الشاطئ.

وقاد جيكارو وميجاي الجمع في الطريق وسط الأشجار الكثيفة حتى وصلوا إلى منطقة متسعة قليلاً توجد على أرضها كتلة كبيرة من الخشب تصلح للجلوس عليها.

وبينما أخذ جيكارو وميجاي يجمعان الخشب لاشتعال النيران، أخذ ادموند ومانويل في وضع شباك النوم بين الأشجار وبعد أن انتهى جيكارو من اشتعال النيران، استقل القارب الصغير ليصطاد السمك.

وتبعته ديليا لثراجه وهو يصطاد، ورأته يلتقي بعجل طويل تدل في نهايته طعم إلى الماء وما هو إلا قليل حتى تعلقت سمكة كبيرة بالطعم، عرفت ديليا أنها من نوع البيرانها.

وذهب ادموند بدورة للصيد، وظلّت ريتا من ديليا احضار بعض الماء من النهر لاستخدامه في طهي الطعام.

ولاحظت ديليا أجساماً طويلة تطفو في هدوء تام في الماء متجهة إلى الشاطئ، واكتشفت أنها قماش، فألت بالدلو وهي تتعد في دهر.

ثم عادت من جديد لالتقاط الدلو، ولكن أحد الناسح اقترب من الشاطئ، فتراجعت بسرعة في الوقت الذي عاد فيه جيكارو و ادموند بالقارب الصغير.

وأسرعا بالقارب صيدها من السمك، والتقط ادموند، بتدقيقه واتجه إلى الشاطئ، فصاحت ديليا تسأله عما يتوي فعله.

فقال لها:

«سأحاول اصطيد السمك الذي كان يريد التهامك، تعالى لتصري كيف اصطاده».

ولم تكن ديليا تريد أن تذهب معه، ولكنها تبعته قائلة أن ذلك قد يقيدنها في كتابة مقالاتها.

ووقفت ديليا في القارب تمسك بيدها المصباح الذي وجهت ضوءه إلى حيث يوجد السمك، وما أن ظهر رأسه فوق الماء حتى أطلق ادموند الرصاص عليه، وأسرع بمساعدة جيكارو يسحبه إلى القارب قبل أن يفوص في القاع، واتجهوا إلى الشاطئ، بصيدهم السمك.

وقطع ميجاي ذيل السمك ونزع جلده وأعدّه للطهي.

وجلست ديليا فوق كتلة الخشب، فصاح ادموند بها قائلاً:

«لا تجلسي عليها فإنها مليئة بالنمل».

فلقزرت مذعورة وهي تقرب المصباح من كتلة الخشب، فوجدتها مليئة بالنمل الأسود الكبير.

وتقدم ادموند منها حاملاً زجاجة مبيد الحشرات وهو يقول:

«إذا كنت تريدن الجلوس عليها، رشيها أولاً بهذا المبيد، ويجب أن تحركي قدميك طوال الوقت حتى تبعدي النمل عنها لأنه يلدغ».

وأطاعته ديليا وهي تشعر أنها لا بد أن تتعلم الكثير عن الحياة في الأدغال قبل أن تعيش فيها. وكانت مصممة على أن تثبت لادموند أنه يمكنها ذلك مثله تماماً ما دامت هذه هي الوسيلة الوحيدة لاثبات مقدار حبها له ورغبتها في البقاء معه.

وجلس الجميع يتناولون طعام العشاء. وبعد أن انتهوا منه سريعاً، صعد لويز إلى فراشه المعلق واستغرق في النوم فوراً. أما ريتا ومانويل فسارا معاً إلى الشاطئ. وقد لف مانويل ذراعه حول خصرها.

وشعرت ديليا بالألم وهي تنظر إليهما. والتفتت تبحث عن ادموند ولكنها لم تجده، فاعتقدت أنه يريد الاختلاء بنفسه خاصة بعد أن تعود البعد عنها.

ولم يكن أمام ديليا ما تفعله سوى الصعود إلى فراشها المعلق. ولكنها لم تستطع النوم قبل أن تغسل. فالتقطت مشفتها وقطعة صابون من حقيبتها واتجهت إلى النهر.

سارت ديليا في حذر تتلصص خطواتها خوفاً من الشعابين، تزيح النباتات المتسلقة التي تعترض طريقها. وهي تستمع إلى سيمفونية الليل في الغابة من حولها. وقد اختلطت صيحات الطيور بأصوات الحشرات وتغنيق الضفادع إلى جانب أصوات أخرى كثيرة لم تستطع تمييزها.

ووصلت إلى الشاطئ. فتفتت ديليا بعمق وهي تشعر بالسعادة وتلاشي خوفها تماماً حين نظرت إلى انعكاس ضوء القمر الذهبي فوق النهر. ووقفت على

رمال الشاطئ. وهي تخلع ثيابها ومحتفظة بحذائها. ترددت قليلاً وهي تنظر إلى النهر، ثم خلعت رداء استحمامها أيضاً مطبقة إلى أن أهدأ لن يراها. وانطلقت في اتجاه النهر عارية تماماً حيث غمرت جسدها بالماء ثم بدأت في الأغتسال بالصابون. وبعد أن انتهت من ذلك توغلت في النهر قليلاً لتغمر المياه جسدها. وأخذت تقفز ثم تغطس في الماء بسعادة.

ووقفت للحظات تنظر إلى القمر وقد راعها منظره، إلا أنها شعرت بنوع من الحزن لأن ادموند لم يكن معها يشاركها الاحساس بجمال هذا المنظر المحيط بها.

وانتهت ديليا إلى أشياء تتحرك على ساقيها وذراعيها فنظرت لترى في ضوء القمر المئات من الأسماك الدقيقة المتعلقة بأطرافها. فأصرعت لحرك ساقيها وذراعيها بعنف لتتخلص منها وبسرعة التجهت إلى الشاطئ. ولكن قدمها وطأت شيئاً لرجاً فسقطت في الماء.

وجاهدت لتقف على قدميها من جديد. وفي هذه اللحظة رأت جسماً طويلاً يسبح في الماء متجهاً إليها بدا شكله مربعاً في ضوء القمر، فصرخت وهي تتبعد بسرعة ولكنها سقطت من جديد فوق الشاطئ.

وعندما تمكنت من الوقوف على قدميها، رأت شيئاً طويلاً يقف أمامها فسقط قلبها بين قدميها، وصاحت قائلة:

«من هناك؟»

فجاءها صوت ادموند غامضاً:

«أنا. ما هذا الذي تفعلينه؟»

وبالرغم من رثة الغضب الواضحة في صوته، إلا أن ديليا شعرت بالراحة لأن أهدأ غير ادموند لم يرها وهي تغتسل عارية تماماً. واتجهت ناحيته حذرة وهي تقول:

«كنت أغتسل ولكن قدمي تعثرت في شيء فسقطت».

ونظرت ديليا خلفها فترأت تساحاً آخر يتجه اليها، فصرخت قائلة:

«لن واحداً آخر يطار دني من جديد».

فمد لها ادموند يده يساعدها للابتعاد عن الماء وأمسك برسغها بقوة ووقفت أمامه والماء يتساقط من جسدها فوق رمال الشاطئ.

وهي قائلاً وهو ما زال ممسكاً بيدها:

«يا لك من غيبة، كيف تخلفين ثيابك هكذا وتنزلين الى النهر؟»

«كنت أريد الاغتسال. ولم أكن أتوي البقاء طويلاً. شعرت بالسعادة لولا هذه الأسماك الصغيرة».

فسأها باهتمام:

«أية أسماك؟ وأين هي؟ أنت متأكدة أنها أسماك وليست دود علق؟»

«على سائي».

ووضع ادموند يده فوق ساقها لازاحة دود العلق عنها، فأحست ديليا بالرعدة تسري في كيانها. لم تكن خائفة ولكنها ارتجفت للمساة يده التي كانت في أشد الحنين اليها.

ووقفت ادموند وهو يقول:

«لم يعد هناك دود علق على ساقك الآن. لقد رأيتك وأنت تسقطين».

«رأيتني؟ منذ متى وأنت تقف هناك؟»

«منذ فترة طويلة. رأيتك تغادرين المعسكر، وعندما تقييت لفترة طويلة قررت البحث عنك. كان يجب أن تعرفي أنه ليس من المفروض أن تتجولي وحدك في مثل هذا المكان. ولماذا لا تذهبي الى فراشك من دون الاغتسال ولو لمرة واحدة؟ ألا تستطيعين التخلي عن عاداتك؟»

وشعرت ديليا بياس، لأن محاولاتها لاثبات قدرتها على العيش في الأدغال

لم يكتب لها النجاح، فنظرت الى ادموند وهي تقول بصوت هامس:

«انتي أسفة».

واحست فجأة بأنها لا تستطيع مقاومة رغبتها في الارتقاء بين أحضان ادموند ومبادلة الحب. وثقلتها رغبة عنيفة في أن تلتصق بجسده، فاندفعت ناحيته وقد غاب عن ذهنها أنها تقف عارية تماماً. لكنه تراجع الى الخلف وسلط ضوء الصباح على ملاسها الملقاة على الشاطئ، وانحنى فالتقط قميصها، وقدمه لها قائلاً:

«خذي ارتدي هذا».

وقبل أن تتمكن من أخذه، وضعه فوق رأسها بعنف ليساعدها على ارتدائه، ولكنها فقدت توازنها فأسكتت بقميصه حتى لا تقع على الأرض. فأسقط ادموند المصباح من يده، وأسرع بوضع يديه حول خصرها لمساعدتها على الوقوف.

لم تستطع ديليا مقاومة رغبتها في الاقتراب منه، فالتصقت به، وشعرت بقبضة يديه حول خصرها تسترخي، ثم أخذ يحرك يديه برفق يتحسس ظهرها وهو يضمها اليه لتلتصق به. وامتدت يدها بشوق لتحسس صدره وعنقه وركعت اليه وجهها وأغلقت عينيها وانفجرت شفتاها في نداء صامت. فهي قائلاً:

«هذا جنون!»

وكان النداء عنيفاً. صنعتته الظروف المحيطة بهما، ولكنه انتهى سريعاً حين ابتعد عنها ادموند فجأة وهو يرتجف ويتنفس بصوت مسموع.

وترنحت ديليا وتعثرت قدمها وهي تطأ شيئاً لزجاً، فصرخت في رعب وهي تدفع اليه للاعتاء به. لكنه في هذه المرة ساعدها على استعادة توازنها ثم تركها بعد ذلك وهو يقول بصوت مخنوق:

«أرجوك. ارتدي ثيابك».

ثم انحنى فوق الأرض يلتقط المصباح، وأضاءه وهو يقول:

«ألم يكن ممكناً اختيار مكان أفضل من هذا لتبادل الحب؟ هذا المكان مليء بالبعوض والنعابين».

واكتشفت ديليا أن العديد من الحشرات قد علقت بجسدها الميتل، فأخذت

تزيلها بيد مرتعشة وليست ثيابها بعد أن نفضتها جيداً.

قالت وهي تدفع بشعرها المبطل الى الخلف:

«ولست الوحيدة التي أردت مبادلتك الحب. كنت أنت أيضاً تريد ذلك».

فقال بلهجة عنيفة:

«حسناً. أعترف أنني أردت ذلك. ولكنني أتحدى أي رجل تجري في عروقه الدماء أن يفعل غير ما فعلت عندما يجذ سيدة عارية بين يديه».

فقالت بتردد:

«أنتي... أنتي أردت فقط أن... أن».

ثم قالت بصوت يخفقه اليكاف:

«أوه... لماذا تعاملتي بهذه القسوة».

فضحك وهو يرة قائلاً:

«دفاعاً عن نفسي. وقد ألبأ في سبيل ذلك إلى استخدام أي سلاح وأرجو ألا تعتقدي أن ما حدث الآن بيننا يعني أي شيء. وأنتي على يقين من أنك عندما تعودين إلى رشدك وتتخلصين من تأثير ضوء القمر على عواطفك. ستشعرين بالسعادة لأنني استطعت التحكم في نفسي ولم أنتهز الفرصة».

وشعرت ديليا وهو يقول هذا بأنه ينفجر جرحاً متليحاً. فانتفضت وهي تسأله:

«ولكن لماذا. لماذا تفعل ذلك؟»

ثم همت تقول راجية:

«أوه. يا ادموند لماذا لا تعود كما كنا في بدء زواجنا؟ لقد كنا في منتهى السعادة».

«لا يمكن أن تعود كما كنا. فقد ارتكب كل منا خطأ كبيراً في حق الآخر. وسيلزمننا الوقت الطويل لكي ننسى ونغفر. وقد لا نستطيع ذلك».

ثم أضاف ادموند وهو يضرب بعصية إحدى الحشرات:

«أعتقد أن هنا ليس المكان المناسب لمناقشة العلاقة بيننا. هيا نعود إلى المعسكر لننام. لأننا سنمضي في طريقنا صباحاً. تعالي اتبعيني وأسقي لك الطريق. وتحركي يهدوء فإن الجميع ينام».

وانحنى ديليا لتلطف ثوب استحمامها من فوق الأرض. وجاهدت وهي تسير بجانب ادموند لتستغ دموعها من السقوط محتفظة بما تبقى لها من كرامة. وعندما وصلا إلى المعسكر. كانت النيران ما زالت مشتعلة وقال لها ادموند: «حاولي أن تدخلي إلى الفراش. والاختباء وراء الشباك التي تمنع دخول البعوض بأسرع ما يمكن حتى لا تتيح الفرصة للبعوض بالدخول».

فسأله:

«هل يمكنك أن أضع رداء نومي؟»

«هل هو معك؟»

«أه في الفراش المعلق».

«حسناً يمكنك ذلك. وسأعزده اليك لمساعدتك على التسلق إلى فراشك».

وبعد أن بذلت ثيابها. أخذها ادموند ووضعها في الفراش المعلق وهو يقول: «لا تتركبي أي ثياب على الأرض. هل لديك غطاء؟»

فشكرته وهي تزد بالانجذاب. فقال:

«ستحتاجين إليه. تصبحين على خير».

فقالت من بين دموعها:

«تصبح على خير وشكراً».

ولم يكن من السهل على ديليا أول الأمر أن تنام في مثل هذا الفراش المعلق. ولكنها استلقت في نهاية الأمر فوق ظهرها. وأخذت تنظر في السماء فوقها وقد انتشر ضوء القمر الأصفر الباهت ليضيء المكان.

حاولت الاستغراق في النوم ولكنها لم تستطع. فقد كانت مضطربة للغاية. وتذكرت موقفها مع ادموند على شاطئ النهر وعواطفها ورغبتها التي

تفجرت بعنف لمبادلتها الحب، هذه الرغبة التي لم تكتمل بسبب اعراضه عنها.
ولكن ألم تعرض عنه هي منذ ستة عشر شهراً؟

وتذكرت قوله لها: لقد ارتكب كل منا خطأ كبيراً في حق الآخر. وادركت
ديليا في هذه اللحظة الى أي حد أذت مشاعر ادموند في تلك الليلة في
لندن. عندما غادرت المنزل وتركته وحيداً. ولكن لماذا لم يمنعها من الخروج؟ لقد
كان بإمكانه أن يفعل ذلك.

وقالت ديليا: لو أنه لم يذهب الى بيتر في تلك الليلة أولم يصدق حديثه.
ولكن كيف وهي تعرف تماماً مقدرة بيتر على اقتناع أي شخص بما يريد، ولا
بد أن ادموند في ذلك الوقت كان يشعر باذلال شديد لموقفها منه، وكان على
استعداد لأن يصدق أي شيء يقال له وخاصة من أعز أصدقائه.

لقد صدقت هي بيتر أيضاً في وقت من الأوقات عندما أخبرها بأنه من
الأفضل لها أن تطلق ادموند لأنه حضر اليه وطلب المضي في اجراءات
الطلاق. وكاد أن يقتنعها بذلك بالفعل على اساس ان هذه هي رغبة ادموند.
ولكن حدث ما دفعها الى التمسك بادموند وعدم محاولة الحصول على الطلاق.
وتذكرت ديليا حديث بيتر معها وهو يستحثها على طلب الطلاق من
ادموند، حين قال لها:

وعندما ينتهي كل شيء، سيكون بإمكانك التخلص من ادموند والزواج بي.
فصاحت به قائلة: ولكنني لا أريد الزواج منك. انتي لا أريد الزواج من أي
رجل آخر غير ادموند، لأنني أحبه. وربما أوافق على الطلاق ولكنني لن أتزوج
بك. وبدا على بيتر في ذلك الوقت أنه صدم، ولكنه قالك نفسه، وجلس الى
جانباها بهدوء وأمسك بيدها قائلاً: من الطبيعي أن يكون هذا شعورك الآن.
الطلاق تجربة قاسية بالنسبة لأي امرأة. أعرف تماماً الصراع الذي يدور بداخلك
وأنت تحاولين اتخاذ قرارك. ولكن صدقيني ستعبرين بالراحة بمجرد اتخاذك مثل
هذا القرار. ثم تنهد بيتر مضيقاً: لقد مررت على قضايا كثيرة من هذا النوع.

لقد اتخذ ادموند قراره، ولن يعود اليك بأي حال من الأحوال. وسألت ديليا
برجاء: هل تعرف مكانه؟ نعم. ولكنه طلب مني الاحتفاظ بذلك سراً. وأنا لن
أخون ثقته بي. وأعتقد أنه سيذهب في رحلة أخرى قد تستغرق منه أكثر من
عام.

ثم التفت بيتر اليها، وأضاف قائلاً: ألا ترين يا ديليا، انه لن يستقر أبداً.
وسيتحرك دائماً تعيشين وحيدة؟ فاجابته: لو أنا أكد من انه يريد الطلاق فعلاً لو
أستطيع التحدث معه او حتى الكتابة اليه. انتي متأكد من انه يريد الطلاق.
فأنا لست صديقه فقط ولكنني محامية. وقد قال لي بالحرف الواحد انه ارتكب
غلطة كبيرة بزواجه منك. وأنه يريد اصلاح هذه الغلطة بأسرع ما يمكن. فهو
كما تعرفين لا يستطيع أن يرى شخصاً يتألم. وهو يعتقد أنك تتألمين. أرجوك يا
ديليا، اتخذي قرارك لمصلحتك الشخصية ولراحتك.

ولكن ديليا لم تتخذ قرارها كما يريد بيتر لأنها بدأت تلاحظ حينئذ وجود
تغيرات في جسدها. وكان قد مضى ثلاثة أشهر منذ عودة ادموند من
أندونيسيا ثم رحيله من جديد الى وسط أميركا. وهناك احتمال كبير أن
يكون قد حدث حمل. وتأكد لها ذلك بالفعل عندما ذهبت الى الطبيب، فطردت من
ذهنها تماماً فكرة الحصول على الطلاق.

وشعرت ديليا بسعادة غامرة وهي تترك أنها تحمل طفلاً من ادموند.
وحاولت الاتصال به بأية وسيلة أو معرفة مكانه لتبلغه بذلك. ولم تبلغ بيتر
بأنها حامل لأنها لم تعد تثق به. وحاولت أن تعرف منه من جديد مكان ادموند
ولكنه رفض قائلاً انه لا يعرف مكانه فامتنعت عن لقائه منذ ذلك الوقت.

ولم تترك ديليا منظمة من منظمات الصعوبة او الاغاثة إلا اتجهت اليها
لتسأل عن ادموند وذهبت الى معهد الأبحاث الذي كان ادموند يعمل به،
فأعطوها عنوان عمه الذي لم تكن تعرف عنه شيئاً. وعندما ذهبت اليه، أبدى
دهشة الشديدة لأنه لم يعرف أن ادموند له زوجة. قال لها انه لا يعرف عنه

وتقلبت ديليا في فراشها وهي لا تستطيع النوم.

ووقت في هذه اللحظة لو أن معها الحبوب النومة، وقتت لو أنها في غرفتها في
يوسواورلاندو مع ادموند لتقول له عن السبب الحقيقي الذي دفعها الى
تناول هذه الحبوب. وهو أنها أصيبت بانهايار عصبي بعد فقدانها للطفل الذي ولد
قبل موعده. وتوفى بعد ذلك. كم تود الآن أن تهنس لادموند بالأمها ليشاركها
التجربة القاسية التي كادت لحظتها.

وأثارت هذه الذكرى الحزينة عواطفها. ولكن رويداً رويداً بدأت أعصابها
تهدأ. وأخيراً استغرقت في نوم عميق.

واستيقظت في الصباح الباكر لتجد الجميع قد سبقوها في الاستيقاظ. فأسرعت
بارتداء ثيابها وتناول افطارها ولم يكن قد تبقى الكثير من الطعام. وبعد تناول
قدح من القهوة، جمعت حاجياتها كما فعل الجميع. واتجهت الى المركب الذي مضى
يشق مياه النهر من جديد في الطريق الى بينوروس.

وجلست ديليا في المركب الى جانب لويز وهي تدون المعلومات التي
تعرفها منه عن عمله مع القبائل، وكفاحه لتأهيلهم التأقلم مع المدنية الحديثة، مع
الاحتفاظ بتقاليدهم.

وقال لويز يحدثها:

«انني أزوّد رجال القبائل بمعدات حديثة مثل الفؤوس المعدنية والسكاكين بدلاً
من الأدوات الحجرية التي يستعملونها. كما أزوّدهم بالبنادق وبعض معدات
صيد الأسماك. هذا بالإضافة الى الطعام والملابس التي يحتاجون اليها في بعض
الأحيان. ولا أحاول اطلاقاً أن أفرض عليهم طريقة حياتنا كما يفعل المستعمر
الأبيض. بل أترك لهم مطلق الحرية لممارسة حياتهم بكل تقاليدهم وطقوسها كما
يجلو لهم.

ولم تستطع ديليا منع نفسها من الاعجاب به، فقد كان مخلصاً في كل كلمة

وعمال من الأصابع ٣١

تلقى بها. وتحدثت معها لويز عن والدها، وكيف كان يساعده في عمله. ثم
تطرق إليها الحديث الى ادموند فقال لويز:

«كم أود لو يقرر ادموند البقاء معنا في يوسواورلاندو ألم يتحدث معك
بشأن هذه المسألة؟»

«لا... ليس بعد».

«لن يكون قراراً سهلاً بالنسبة إليه. أعرف ذلك خاصة بعد أن قابلتك. فعندما
يكون الرجل أعزب مثلي، فإن الخاذ مثل هذا القرار لا يكون سهلاً. ولكنني آمل
أن نتوصل مع ادموند الى حل وسط كما هو الحال مع ريتا و مانويل. وكما
عرفت منها فإن الزواج الحقيقي يعني أن يتغلب الحب على أية مشكلة تعترض
طريق الزوجين ليصلا معاً الى حل يرضي كليهما.

ولما كان الجو حاراً، فإن ديليا فضلت البقاء في الظل في المنطقة التي يوجد
بها المحرك، وجلست تدون ملاحظاتها وانضمت اليها ريتا لبعض الوقت.
ولكن ادموند لم يقترب من مكانها، وفضل البقاء تحت أشعة الشمس.

وفي منتصف النهار سقطت الأمطار بغزارة مما حجب عنهم الرؤية تقريباً. وما
أن توقفت الأمطار حتى تمكنت ديليا من رؤية أحد الشواطئ التي كان
المركب قد اقترب منها. وبدأت لها في وسط الغابة منطقة متسعة خضراء تناثرت
فوقها بعض الأكواخ الخشبية. وبدأ منظرها رائعاً وسط الأشجار الكثيفة التي
أحاطت بها من كل جانب. وكانت هذه هي بينوروس.

هبط ادموند و مانويل يساعداً جيكارو في سحب المركب الى
الشاطئ. حيث وقفت مجموعة من الهنود يرتدي معظمهم ثياباً عادية، وكانوا
يقفون في صمت تام.

وسرعان ما اندفعت سيده وسطهم وهي تصبح بصوت عال، وتخط بيدها على
صدرها وقد انسابت الدموع من عينيها.

وهبط جيكارو من المركب، وتقدم الى الشاطئ. فتوقفت السيدة فجأة عن

الصباح، وأمسكت بذراعه وهي تبسم بسعادة والجهت معه الى منطقة الأكواخ.
وما أن انتهى هذا المشهد، حتى اندفع الخنود بتصايحون ويضحكون، وهم
يحيون لويز ويعانقونه.

ولم تفهم ديليا شيئاً مما يدور حولها، فأوضحت لها ريتا الأمر قائلة:
«هذه السيدة هي والدته جيكارو. كانت تبكي لأنه تغيب عن القرية لفترة
طويلة. وتقضي التفاليد بأن يلتزم الجميع الصمت حتى تنتهي من الترحيب
بوالدها العائد. والآن هيا بنا نزل الى الشاطئ».

وشعرت ديليا بسعادة وهي تنزل من المركب، ولكنها ترحلت وكادت تسقط
لولا أن امتدت يد لستدها.

ونظرت ديليا فرأت أمامها شاباً برازالياً وسياً في حوال الثلاثين من عمره
يتبسم لها وهو يحدّثها بالبرتغالية. ولم تفهم ديليا شيئاً من حديثه ولكنها ردت
بحيته بالبرتغالية، فأضاء وجهه وهو يردّ عليها بالانكليزية الراكبة.
ووصل لويز في هذه اللحظة يحيط به الخنود. وعندما رأى الشاب هتف
قائلاً:

«كارلو، لم أكن أتوقع لقاءك هنا».

ثم عانقه وقبله على الطريقة البرازيلية مشيراً الى ديليا يقدمها له قائلاً:
«هذه ديليا تاليوت، صحفية تعمل معنا».

ثم قدّم لويز الشاب اليها قائلاً:

«وهذا كارلو سيلفيرا ابن أحد المستكشفين العظام. ويعمل كطيار تابع
لنظمة حماية الحياة القبلية».

وتسأل كارلو وهو يصافح ديليا:

«تاليوت، هل هذا الاسم له صلة بالدكتور تاليوت؟»

فأجاب لويز وهو يتجه الى الأكواخ:

«نعم، انها زوجته».

فصاح كارلو متعجباً:

«هل هذا معقول. كم مضى على زواجك من ادموند؟»

فأجابت ديليا وهما يسيران خلف لويز:

«عامان ونصف».

فصاح كارلو من جديد:

«لا أكاد أصنق هذا. لقد اجتمعت بادموند مراراً خلال العام الماضي، ولم
يخبرني أبداً أن له زوجة».

ورأت ديليا امرأة طويلة القامة، نحيلة، تهبط التل متجهة اليهم. وكانت
تبدو في حوال السادسة والعشرين من عمرها شعرها أسود طويل، ولون بشرتها
برونزي جذاب للغاية، وكانت ترتدي سروالاً من القطن الفاتح وقميصاً مناسباً.
وتحدثت الى كارلو بالبرتغالية بلهجة سريعة وهي تشير الى ديليا ورؤ
عليها بنفس اللغة. ورأت ديليا ابتسامة ساخرة ترسم على شفاهه وهو يردّد
اسمها.

والتفتت المرأة الى ديليا وقد اتسعت عيناها من الدهشة وقالت بالانكليزية:
«لم أكن أعرف أن ادموند متزوج».

ثم قدمت نفسها قائلة:

«أنا الدكتورة زانيتا ميريللي، وقد اعتنيت بزواجك أثناء إصابته بالمalaria بعد
أن ضل طريقه في الغابة».

فمدّت ديليا يدها لتصافح المرأة، ولكنها تركتها فجأة نازلة التل بسرعة.
ونظرت ديليا وراها، فرأت، ادموند يصعد التل وهو يحمل حقييته.

ورأت زانيتا تندفع ناحيته، وتوقف ادموند ونظر اليها مبشراً فاندفعت
اليه وأحاطته بذراعيها وقبلته على وجنتيه لأكثر من مرة. فضحك ادموند
ووضع الحقيبة على الأرض ليبدأها النحية.

وأشاحت ديليا بوجهها سريعاً، قرأت كارلو ينظر إليها باهتمام شديد وكأنه يجد المشهد مسلماً. ولكنه لم يعلق بشيء، وسار إلى جانبها في الطريق إلى الأكواخ.

وقال لويز يجذبها:

«ستفاسمين أنت وادموند أحد الأكواخ مع مانويل وريتا، فليس في القرية هنا التسهيلات الموجودة في يوستو أورلاندو أما نحن فستيت فوق الشباك المعلقة في العراء. وإذا أردت الاغتسال فيوجد حمام في هذا الكوخ الذي يتوسط المنطقة.

وصحبها لويز إلى أحد الأكواخ، وكان متسعاً من الداخل وقد ترك نصفه مكتوفاً أما النصف الآخر فكان مسقوفاً، ووضعت لمبة تضاء بالوتود فوق أحد جذوع الأشجار التي يستند إليها السقف، وعلى جنباتها الضعيف أمكن لديليا أن ترى الخنود وهم يعلقون شباك النوم التي أحضرها معهم في المركب. وما أن رأى الخنود ديليا تدخل إلى الكوخ، حتى تقدموا منها وهم يشيرون إلى حقيبتها. وقهت ديليا ما يريدون، ففتحت الحقيبة، وأخرجت بعض الحلوى والسكرات وأعطتها لهم، فغادروا الكوخ مع لويز.

ودخل بعد ذلك مانويل وريتا واتجهتا إلى الركن الخاص بهما في الكوخ، وجلست ديليا تمشط شعرها بعد أن بذلت ثيابها، وهي تسائل نفسها عن ادموند وأين هو الآن.

وبعد ذلك اتجهت ديليا مع مانويل وريتا إلى حيث يقدم الطعام. وكان القمر مكتملاً، وضوءه يملأ المكان الذي فاحت في انحناءه رائحة زهر الليمون. ودخلا إلى أحد الأكواخ القريبة من النهر حيث وجدا أحد الخنود يقوم بإعداد الطعام. ووقفت ديليا تراقبه للحظة وقالت ريتا:

«يبدو أن الطعام سيكون دسماً الليلة، فقد سمعت أن صيادي القبيلة تمكثوا من اصطياد عدد من الغزلان البرية».

وفي الغرفة الطويلة التي خصصت لتناول الطعام، رأت ديليا لويز يجلس وقد احاط به الخنود يصفون له كيف تمكثوا من اصطياد الغزلان. كما رأت ادموند يجلس إلى مائدة مستطيلة مع زانينا.

وهست ريتا قائلة لديليا:

«هل تعرفت بالدكتورة زانينا ميريللي؟»

فقالت ديليا وهي تجلس إلى المائدة:

«نعم، قدمني كارلو إليها، ولكن يبدو أنها صغيرة على كونها طبيبة، هل هي متطوعة؟»

«نعم، أنها في كلية طب سان باولو وتريد التخصص في الطب الاستوائي، وهي تنحدر من عائلة غنية جداً».

وشعرت ديليا بتعاسة وهي تقول لنفسها: مثل ادموند تماماً ولكن إلى أي مدى يتفق ادموند مع هذه الطبيبة الجذابة المرححة؟

واقتربت ريتا من ديليا وهي تقول بصوت هامس:

«أرجو ألا يضايقك كلامي، ولكنني سأقول لك ما أقول لأنني أشعر بميل إليك وكأنني أعرفك منذ فترة طويلة. انني أعتقد أن زانينا تحب ادموند. وقد تعلقت به أثناء الفترة التي قضتها معنا في يوستو أورلاندو للعناية به».

وقفز سزال إلى ذهن ديليا. وقد لو نطق به لسانها، وهو هل هو أيضاً يحبها؟ ولكنها لم تحاول أن تخرج ريتا بتوجيه مثل هذا السؤال إليها.

ونظرت خلفه عبر المائدة، وكان ادموند يجلس مستنداً بلواحيه إلى المائدة، يدخن سيكلوته ويستم وهو يستمع باهتمام شديد إلى حديث زانينا التي كانت تتحدث بأنفعال وهي تلوح بيدها بين وقت وآخر.

ووجدت ديليا نفسها تسأل عم يتحدثان. ربما كانت تحدته بشأن بعض المسائل الطبية، ولكن من يدري ماذا تقول له هذه الطبيبة وما هو رأيه فيها. وتوقفت زانينا عن الحديث وهي تنظر إليه فيما يبدو انتظاراً لأجابة منه.

فأجابها على الفور بلغة برتغالية سليمة. وبدأ عليها الاستغراق التام في الحديث لدرجة أن ديليا شعرت أنها قد انفصلاً تماماً عن أي شيء آخر وأنها يعيشان في عالم خاص بهما.

وشعرت ديليا بنيران الغيرة تشتعل في صدرها وهي تفكر كيف أن آدموند تجاهل وجودها تماماً وهما على المركب. في الوقت الذي يظهر فيه كل الاهتمام بهذه المرأة البرازيلية التي عانته وكأنه حبيبها.

وأناحت ديليا بنظرها إلى الناحية الأخرى لترى كارلو وقد جلس على يمينها. قابضت له ويادها الانبسام.

وقال كارلو:

«ما زلت مندهشاً. كيف يحضر آدموند إلى بوستواورلاندو ويقضي طوال هذه المدة بعيداً عنك. لا بد أن يكون. ماذا يقولون مجنوناً؟ لا يمكن لرجل عاقل أن يترك زوجة جميلة مثلك وحيدة ليسرقها رجل آخر منه. ولكن لماذا تركته يسافر؟»

«لم يكن بإمكانني منعه».

«كيف ذلك؟ لا أصدق أن امرأة مثلك لا يمكنها أن تفعل ذلك. لو أنك أردت فعلاً بقاءه إلى جانبك. أو ربما كان زواجكما من النوع الحديث الذي يعيش فيه كل من الزوجين حياته الخاصة ولا يجتمعان إلا إذا سمحت لها الظروف بذلك».

«تبدو وكأنك لا تؤيد مثل هذا الزواج».

«بالطبع لا. عندما أتزوج. ولا أعتقد أنني سأفعل ذلك الآن. أريد أن تبقى زوجتي في المنزل للعناية بي وبالأطفال بعد ذلك».

«ولكن لفترض أنك لم تستطع البقاء معها. أو دعناك ظروفك إلى التغيب عنها معظم الوقت؟»

«في هذه الحالة أتوقع منها أن تبقى في انتظارني باخلاص لترحب بي عند عودتي».

ثم نظر كارلو عبر المائدة إلى حيث يجلس آدموند. وزائيتا واقتربا من ديليا ووضع يده على كتفه وهو يمس قاتلاً:

«انتي لا أهتم بهذا الفراز من النساء على شاكلة الدكتور. زائيتا فاتها باردة نحب الحديث عن نفسها وعن مهلاتها كطبيبة طوال الوقت. ومع كل هذا الحديث. لن يكون هناك وقت لتبادل القيلات».

ضحكت ديليا. وأخذت في تناول الطعام وهي تشعر بالسعادة لأنها تجلس إلى جانب كارلو الذي أخذ يتحدثها طوال الوقت وجذب انتباهها بعيداً عن زائيتا و آدموند. وجعلها تنسى متاعبها.

وبعد الانتهاء من تناول الطعام. توجهوا إلى الخارج حيث جلسوا في الهواء الطلق على المقاعد الخشبية يراقبون الحود وهم يقدمون رفصاتهم الشعبية وقد ارتدوا ثياباً من الريش زاهية الألوان.

وجلس كارلو إلى جانب ديليا يشرح لها معنى الرقصة التي كانت تقدم. قائلاً أنها تعبير عن الغضب. الغضب على المستعمر الأبيض الذي يريد أن يشق طريقاً وسط الغابة.

وبعد الانتهاء من مشاهدة الرقص. اتجهت ديليا بصحبة كارلو إلى الكوخ. وكان النسيم عليلاً وضوء القمر ينتشر في المكان ويبدو أن هذا الجو الشعري آثار عواطف كارلو. ذلك أنه أمسك بيد ديليا وهو يودعها على باب الكوخ ورفعها إلى شفتيه يقبلها وهو يمس. قائلاً:

«تصبحين على خير انني سعيد بوجودك معنا وسأراك غداً».

ثم تركها واختفى في الظلام.

دخلت ديليا إلى الكوخ. ولحست طريقها في ضوء المصباح الخافت إلى الركن المخصص لها ولآدموند. وخلعت ثيابها ولبست رداء نومها. وثكنت من التسلق إلى الفراش المعلق بدون مساعدة أحد وأغمضت عينيها وهي تستمع إلى ريتا و مانويل وهما يتهايان ولكنهما لم تستطع النوم فاستلقت بانتظار

عاد ادموند أخيراً الى الكوخ، وسمعه يتحرك بهدوء ليخلع ملابسه ويستلقي في فراشه. وثقت ديليا في هذه اللحظة لو واثتها الشجاعة للتحدث اليه لتعرف منه أين كان حتى الآن وماذا كان يفعل.

وفتحت عينها، فرأت الكوخ يسبح في الظلام بعد أن أطفأ ادموند المصباح.

وعلى الرغم من أن الليل كان يقرب بينهما لأنها كانا يجتمعان في مكان واحد، إلا أن ديليا كانت تشعر في ذلك الوقت انها بعيدان تماماً عن بعضهما البعض. وهذا لما وكان الهواء الذي تفصل بينهما تزداد كل يوم اتساعاً. واستغرقت في النوم وهي تعتقد أنها قد توصلت الى السبب الحقيقي وراء رغبة ادموند في البقاء في البرازيل. انه يريد البقاء الى جانب الدكتورة زانيتا ميريللي.

٥ - عناق في الادغال

قال ادموند محدثاً ديليا:

«يوجد رجل مريض للغاية في إحدى القرى المتعزلة وسط الأدغال. وقد تلقينا رسالة من قبلته تطلب طبيباً على وجه السرعة. وسيأخذنا كارلو بطائرته الى هناك هذا الصباح. فهل ترغبين في الذهاب معناه»

وكانت ديليا وقد نزلت لشوها من فراشها المعلق، تبحث عن منشفتها والصابونة لتذهب الى حيث يمكنها الاغتسال، فوفقت جامدة للحظة وظهرها اليه وهي لا تكاد تصدق أذنيها. هل يطلب منها ادموند حقاً الذهاب معه الى أي مكان؟

والثقت اليه، فرأت شعره مبتلاً كأنه اغتسل بالفعل. وبدأ وجهه حليقاً جذاباً وقد تناثرت خصلات شعره المجعد المبطل حول أذنيه وعلى عنقه. وعلى الرغم من أنه يبدو منتعشاً، الا أنها لاحظت وجود بقع سوداء حول عينيه تشير الى انه لم يأخذ قسطاً وافياً من النوم.

وترددت ديليا قليلاً قبل أن تسأله برجاء:

«هل تريدني أن أذهب معك؟»

فقال بعصبية واضحة:

«ماذا تريدني أن أجيبك؟ انني اوجه اليك سؤالاً بسيطاً وأنت تجيبين بسؤال آخر.
كارلو يقول ان الطائرة يمكنها أن تحمل أربعة أشخاص. ويعتقد لويز أن
زيارتك لمثل هذه القرية المنعزلة سيفيدك في عملك. وعلى هذا فان أمامك فرصة
للذهاب، اما أن تقبلها أو ترفضها. فهو أمر يتعلق بك وحدك».

وبالرغم من أنها شعرت بالألم لهذه اللهجة العتيقة التي يحدثها بها، وبالرغم
أيضاً من أنها كانت تشعر بصداق وألم في معدتها ورغبة شديدة في النوم، الا أنها
كانت تريد أن تذهب معه لثبت له أنه يمكنها الذهاب الى أي مكان يذهب اليه.
فقلت بسرعة:

«انتي... انني أريد أن أذهب معك لو سمحت. ولكن من هو الشخص الرابع
الذي سيذهب معنا؟»
فاجاب باقتضاب:

«الدكتورة ميريللي، ستكون فرصة طيبة لها أيضاً».

وأضاف وهو يتجه الى الخارج:

«حسناً، سأذهب لأبلغ كارلو أنك ستذهبين معنا، وإذا كانت لديك أية هدايا،
فاحضريها معك لاعطائها لرجال القبيلة وسأراك على مائدة الافطار بعد حوال
ربع ساعة».

وخرج ادموند من الكوخ. وكانت ديليا تزود لو تسأله عما اذا كان يشعر
بالقلق لأنه سيضطر الى ركوب مثل هذه الطائرة الصغيرة لأول مرة بعد تعرضه
لحادث سقوط الطائرة من قبل. ولكن حتى لو كان يشعر بالقلق، فهل يعترف لها
بذلك. في أية حال انه لم يتح لها فرصة لتوجيه هذا السؤال اليه.

ووضعت ديليا ثيابها، وأسرعت الى حيث اغتسلت في الكوخ القريب،
وشعرت بالانتعاش قليلاً، وأمكنها أن تقبل على طعام الافطار الذي كان يتكون
من البيض، والفطائر المصنوعة من دقيق الذرة. وبالرغم من أنها كانت لا تزال

تشعر بالألم في معدتها، الا أنها كانت تحس بالسعادة لأنها ذاهبة مع ادموند في
هذه الرحلة.

وحياها كارلو وهو يظهر لها سعادته لأنها ستشاركهم الرحلة، ووضع ذراعه
في ذراعها وهو يسير الى جانبها في الممر الذي تربض فوقه الطائرة. وكان يرتدي
سروالاً كاكي اللون وحذاءً عاليًا، ووضع حول وسطه حزاماً جلدياً عريضاً يتدلى
منه جراب به مسدس، وأمسك بيده الأخرى بتدقيق.

وقال كارلو وهو يساعد ديليا للصعود الى الطائرة:

«انتي احتفظ بمثل هذه الأسلحة معي دائماً لحسباً للطوارئ». فربما اضطر الى
المبرط وسط الأدغال، وفي هذه الحالة يجب أن يكون معي سلاح لأحصل على
الطعام. والآن التحي الى المقعد الأمامي فاني أريدك أن تجلسي بجانبني لأن هذا
سيكون أفضل لك. وستكون لديك فرصة أفضل للمشاهدة».

ووصل ادموند وزانيتا بصحبة لويز الذي حضر لتوديعهم وقد التف
حواله بعض الحنود.

ونظر ادموند الى ديليا وقطب جبينه وهو يسألها:

«لماذا تجلسين في المقعد الأمامي؟»

فقال كارلو مبتسماً:

«لأنني طلبت منها ذلك يا صديقي. لا تقلق عليها فانها ستكون في امان وهي
تجلس بجانبني. ويمكنك أن تجلس أنت في المقعد الخلفي حيث تستطيع الحديث مع
الدكتورة زانيتا».

والتفت ادموند الى زانيتا التي جلست في المقعد الخلفي وهو يهز كتفيه
قائلاً:

«حسناً، كما تريد».

وأقلع باب الطائرة، وبدأت محركاتها في العمل، ثم بدأت تسير فوق الممر حتى
وصلت الى مرعتها اللازمة فارفعت في السماء. وتطورت ديليا الى أسفل تلوح

بيدها اللويز وريتسا ومائويل بينما كانت الطائرة تدور حول القرية.
وكان كارلو يتولى قيادة الطائرة بسهولة، وقد تعمد أن يطير على ارتفاع منخفض فوق النهر حتى تتمكن ديليا من مشاهدة الناسيح وهي تستلقي تحت أشعة الشمس على الشاطئ الرمل، وكان شكلها غريباً للغاية. كما أمكنها مشاهدة قطيع من الغزلان ترعى في إحدى مناطق السافانا. وكانت الطائرة تمتد أسفل الطائرة كبحر واسع لا نهاية له، تخترقه في بعض الأحيان خطوط تيرق تحت أشعة الشمس تمثل الأنهار وبحاري المياه، كما كانت أسراب من الطيور الزاهية الألوان تخلق في تناقض غريب مع لون الخضرة الداكن الممتد على مرص النظر.

وصاحت ديليا ليسمعها كارلو وهي تسأله:

«كيف يمكنك أن تعرف طريقك إلى القرية؟»

ونظر إليها مبتسماً وهو يقترب منها:

«هذه مشكلة من السهل على حلها. فإني حيث أذهب، أراقب البوصلة. حتى أرى في النهاية عاموداً من الدخان، وحيث يتصاعد لا بد أن تكون هناك حياة».

ثم اقترب كارلو منها أكثر، وقال بصوت منخفض:

«هذه هي أول رحلة بالطائرة يقوم بها آدموند منذ الحادث الذي تعرض له. وأريد أن أعرف شعوره».

ف نظرت ديليا بحذر إلى المقعد الخلفي حيث يجلس، فرأته جالساً في صمت ينظر أمامه، ولم يكن يلتفت إلى زانيتا التي كانت تنظر من النافذة. وعندما التفت نظراتها شعرت بالقلق، فقد كانت عيناه مليئتين بالغضب.

ونظرت ديليا أمامها من جديد، ولكنها لم تحاول أن تقترب من كارلو لتتحدث إليه، كانت تعرف أن آدموند يراقبها، ولكن كارلو انحنى نحوها وهو يسألها:

«هيه، كيف حاله؟»

«يبدو في حالة طيبة».

«انتي سعيد بذلك. كنت أخشى أن يؤثر عليه الحادث، والآن انظري إلى أسفل. هل ترين هذا الدخان؟ هذه هي القرية التي تقصدها».

وهبطت الطائرة، ورأت ديليا مكاناً منسطاً وسط الأشجار الكثيفة. وبدأ كارلو يدور بالطائرة فوق أسطح الأكواخ التي امتلأت بالقرى. وخرج الأهالي منها وهم يصيحون ويلوحون بأيديهم للطائرة.

وأخيراً استقرت الطائرة فوق الأرض، وكان المكان ضيقاً والممر قصيراً مما اضطر كارلو إلى استخدام الفرامل بقوة.

وبجرد أن فتح باب الطائرة، امتدت الأيدي الداكنة اللون لمساعد كارلو على الهبوط منها. ثم ساعد الأهالي ديليا وادموند وزانيتا على الهبوط بعد ذلك، واتجه الجميع في خطى سريعة إلى وسط القرية، وكان الجو حاراً ومشمعاً بالرطوبة. واستمر الأهالي يتصايحون ويلوحون بأيديهم، فتوقفت ادموند وهو يتسأل:

«ماذا حدث؟ ولماذا يتصايحون هكذا؟ انتي لن أمضي في طريقك قبل أن أعرف ماذا يريدون؟»

وبدأت ديليا تشعر بدوار، فقد كانت الحرارة شديدة وبدا لها كل شيء وكأنه يدور حولها، ولكنها قاسمت.

وتقدم أحد الرجال الأثداء من كارلو، وتحدث إليه قليلاً، قالت هذا إلى ادموند يفسر له ما يقول:

«الأهالي سعداء لحضورنا، وهذا الرجل هو زعيم القبيلة ويريدك أن تتوجه معه فوراً إلى كوخ الرجل المريض».

فسأله ادموند:

«وأين هو؟»

«أعتقد أنه في ذلك الكوخ، ما عليك إلا أن تتبعه».

«ولكنني لا أفهم حديثهم وسأحتاج إلى من يترجمه لي».

فقال كارلو وهو يتسم بخبت:

«انني متأكد أن الدكتورة ميريلي على استعداد للقيام بهذا الدور أليس كذلك يا زانيتا؟»

والثفت اليها، وحدثها بالبرتغالية، فرغعت حاجبيها في حركة عصبية وهي تقول:

«بالطبع يمكنني ذلك».

والثفت ادموند إلى ديليا، فحاولت أن تبدو في حالة طبيعية حتى لا يلاحظ أنها تشكو من أي ألم.

وقال ادموند يحدثها بركة:

«هل يمكنك البقاء وحدك؟ أليس يزعجك ذلك».

وشعرت ديليا بشعاع من الأمل ينقذ إلى نفسها، فقد اعتقدت في هذه اللحظة أنه إذا كان يشعر بالقلق من ناحتها إلى هذه الدرجة ويهتم براحتها، فانه من الممكن أن تثير اهتمامه من جديد كأمراة وكزوجة.

وردت ديليا قائلة:

«شكراً، سأكون بخير، ربما أنجول لالتقاط بعض الصور».

وقال كارلو:

«لا تقلق، سأعني بها، وسأخذك في جولة داخل القرية».

فنظرا إليه ادموند نظرة غريبة، ثم هز رأسه موافقاً وهو يقول:

«حسناً... سأمرع في العودة بقدر الامكان».

ثم التفت إلى زعيم القبيلة، وقال له شيئاً بالبرتغالية، فربت هذا على كتفه وأمسك بذراعه وصاحبه إلى أحد الأكواخ الذي كانت تبعث منه أصوات عويل.

والثفت كارلو إلى زانيتا التي لم تتحرك من مكانها، وقال لها شيئاً بالبرتغالية، فنظرت إليه بغضب شديد وهي تتمتم ببعض الكلمات، ثم تبعث

ادموند إلى الكوخ حاملة حقيبتها الطبية في يدها.

وبعد أن ذهبت زانيتا قال كارلو وهو يسلك بذراع ديليا مشيراً إلى شجرة كبيرة:

«سنجلس في ظل هذه الشجرة الكبيرة لبعض الوقت».

وجلسا معاً على أحد المقاعد الخشبية، وسرعان ما تجهم حولها الخنود ينظرون إلى ديليا بفضول، وتذكرت ديليا الهدايا التي أحضرتها معها، ففتحت حقيبتها وأخرجت منها الحلوى والسيكانر لتقدمها لهم.

كان أهالي هذه القبيلة يختلفون عن القبائل الأخرى التي قابلتها ديليا، كانت بشرتهم قبل إلى السواد، ووضع معظمهم طبقة سميكة من الطلاء فوق جلودهم، وكان الرجال يحيطون أذرعهم بشرائط من جلود الحيوانات.

تقدم منها الخنود يلمسونها ويمسكون بذراعها وشعرها، ويرفعون يدها ليروا خاتم الزواج الذي تضعه في اصبعها، ويفتحون الفلاحة التي وضعتها حول عنقها.

وجلست ديليا بهدوء وصبر لأنها كانت تدرك مدى أهمية هذه الأشياء بالنسبة إليهم، فابتسمت لهم، وابتسموا لها بخجل ثم تقدمت إحدى السيدات وبدأ أنها أصدرت أمراً، فاندفع شاب يجري تجاه أحد الأكواخ ثم عاد وهو يحمل ملء يده من المكسرات وقدمها لديليا.

ولم تكن ديليا تشعر برغبة في تناول أي شيء، ولكنها تناولت واحدة حتى لا تؤذي مشاعرهم.

وهنس كارلو قائلاً:

«انهم معجبون بك، وهذا شيء رائع لأن هذه القبيلة لا تألف إلى الغرباء بسرعة، كما انها من أمهر الليال في الأشغال البدوية، وسترين هذا بنفسك».

ثم صاح كارلو وهو يقف فجأة:

«يا الهي، لقد خرجت من الكوخ».

ونظرت ديليا الى حيث كان كارلو ينظر، فأرأت زانيتا تجري مندفعة من الكوخ، فاندفع كارلو بعرض طريقها وتحدث اليها بلهجة عنيفة، ولكن زانيتا التي بدا وجهها شاحباً ردت عليه بخدة، واندفعت وقد وضعت يدها على نفسها تجري حيث اختفت وراء أحد الأكواخ.

وصاحت ديليا تسأل كارلو:

«ماذا حدث؟»

«إنها لم تستطع تحمل رؤية الرجل المريض. لا أدري ما فائدة كونها طبيبة ما فاعت تصاب بالفتيان عندما تشاهد شخصاً مريضاً؟ لا يمكن أن تصلح للعمل في الأدغال، فهي غير مؤهلة لذلك كما هو الحال مع آدموند».

ثم نظرت الى ديليا وهو يضيف:

«هل تعرفين يا ديليا أنني معجب جداً بزوجك. في أول الأمر لم أكن كذلك. فقد بدا لي بشعره المجعد وعينييه الزرقاوين الياردتين وصوته الماديء الرقيق كما لو كان شاباً من الطراز الذي سئم الحياة الرعدة التي يعيشها فحضر الى هذه المناطق لجرد التغيير، ولكنني كنت مخفناً، لأنني وجدته بعد ذلك رجلاً مهذباً يهتم بالآخرين ويعمل على مساعدتهم كما أن لديه قدرة كبيرة على التحمل. وقد ثبت لي هذا بعد أن تمكن من شق طريقه بين الأدغال التي همل فيها لما يقرب من أسبوعين».

ونظرت ديليا الى باب الكوخ الذي يوجد بداخله الرجل المريض، وقالت:

«إن آدموند يقف بالباب وهو يلوح لنا».

واخجها معاً الى حيث يقف آدموند الذي بدا عليه الشجوب الشديد وكان العرق يتصبب من وجهه، وسأل بخدة:

«أين ذهبت الدكتورة ميريللي؟»

فرد كارلو بلهجة ساخرة:

«إنها خلف الكوخ. شعرت بفتيان. هل أنت بحاجة الى مساعدة؟»

«نعم. فإني لا أفهم حديثهم. كل ما فهمته أن مريض الرجل له دخل بأحد الطيور».

ثم التفت الى ديليا قائلاً:

«لا داعي لدخولك يا ديليا».

ولكنها أصرت على الدخول، فقال لها:

«إن النظر بالداخل لن يعجبك».

ف قالت:

«هذا شيء طبيعى. أريد الدخول الى الكوخ. فربما يفيدني ذلك في كتابتي مقالتي».

وكان داخل الكوخ معتماً وسمعت ديليا أصوات نسوة ينتحبن وبولولن. ورأت قرائماً معلقاً تلف حول النسوة فنظرت داخله فأرأت شيئاً هزلاً للغاية ظننته لأول وهلة طفلاً صغيراً. ولكنها عندما دقت النظر اكتشفت أنه رجل أشبه بالهيكل العظمى.

وأخذ الزعيم يتحدث الى كارلو وهو يشير بيديه، اشارات كثيرة، وأخيراً تولى كارلو تفسير كلامه، فقال:

«الشباب المريض ذهب يوماً ليطياد وفقد سلاحه، وذهب ليهبث عن الماء فضل طريقه في الغابة. ولم يكن معه أي طعام أو شراب فالتقطه طائر الأناثو ووضعته في عشه. ثم عاد به الى القرية أمس».

فهمس آدموند متسائلاً وهو ينظر الى المريض:

«وما هو هذا الطائر؟»

«يعتقد المنرد أنه عندما يغفل أحدهم الطريق في الغابة فإن مخلوقاً نصفه رجل ونصفه طائر ينقله ويحفظه في عشه لحين. ثم يحمله فوق منقاره ليعود به الى أهله».

«هيه... مجرد اعتقاد يحاول المنرد أن يفسروا به ما يستعصي عليهم فهمه أحياناً».

ثم أضاف آدموند:

«إن هذا الشاب يعاني من الأنيميا الحادة وفقر الدم، ويجب أن ينقل فوراً إلى
يوسنر أو لاندو. وستكون أنت يا كارلو طائر الأنانس الذي يحمله بعيداً
ليعود به إلى أهله بعد ذلك معاقاً».

«إن هذه فكرة رائعة يا صديقي. ولكنني لا أستطيع أن أحمله معنا على هذه
الطائرة الصغيرة، فإني لا تسع لأكثر من أربعة أشخاص. وإذا خاطرت، فربما
تسقط الطائرة لأنها ليست في حالة جيدة».

فاعترض آدموند قائلاً:

«ولكن هذا الشاب لا يكاد يزن شيئاً».

«أعرف ذلك. ولكن أخاه ووالدته لن يتركاها يذهب وحيداً، فأنت تعرف مدى
ارتباط الأهل هنا ببعضهم بعضاً وخاصة في حالات المرض. وحسب تقديري فإن
أخاه لا يقل وزنه عن مائة وخمسين كيلوغراماً».

ونظر إليه آدموند وبدأ عليه التفكير، ثم رفع يده مسح العرق عن وجهه
قائلاً:

«تعال نخرج ونناقش هذه المسألة. أريد أن أشرب شيئاً».

والتفت كارلو إلى الزعيم وقال له شيئاً، ثم خرجوا جميعاً من الكوخ وجلسوا
تحت ظل الشجرة. وكانت زانيتا تجلس على المقعد الخشبي، فالجبه آدموند
إليها مياصرة وجلس بجانبها وتحدث معها برفق. فشعرت ديليا بنيران الغيرة
تشعل من جديد في صدرها. فجلست على الطرف الآخر من المقعد. وقد ادارت
نظرها.

وبعد قليل خرج الزعيم من الكوخ تتبعه بعض النسوة اللاتي قدمن لهم في
حياة عصير الفواكه الطازجة الذي تناولوه بنهم شديد.

وقال آدموند بلهجة امرأة:

«سيضطرب اثنان منا للبقاء في القرية حتى نتمكن من نقل الشاب المريض».

ومال في الأسفل: ١٠٠

وبالطبع ستضطرب أنت يا كارلو للذهاب معه، فأنت قائد الطائرة. ويجب أن
تقرر من الذي سيتخلف».

فقال كارلو:

«زانيتا و ديليا أو أنت وواحدة منهما».

وأعقب هذا الاقتراح من كارلو فترة صمت. واعتقدت ديليا أن الرجلين
ينتظران رأيها ورأي زانيتا بالنسبة لهذه المسألة. فقالت بهدوء:

«أنتي لا أمانع في البقاء هنا. ربما يكون هذا أفضل لي».

فقال آدموند بسرعة:

«إذا سألني معك».

وفي الحال انفجرت زانيتا في حديث عاصف لم تفهم منه ديليا حرفاً
واحداً وهي تلوح بيديها في ثورة. فهست ديليا تسأل كارلو الذي كان
يجلس بجانبها:

«ماذا حدث الآن؟»

«إنها تريد أن تذهبي أنت معنا على الطائرة لتبقى هي مع آدموند. ياها من امرأة
غريبة».

فقالت ديليا وهي تنفر بالنعاسة:

«أخبرها أنني سأذهب معك ويكتفينا في البقاء. فإن الأمر سيان بالنسبة لي».

فقال كارلو بغضب:

«لن أفعل شيئاً من هذا القبيل. إن آدموند هو الذي يمكنه وحده أن يقرره».

ثم التفت إلى زانيتا. وتحدث إليها بلهجة عنيفة والتفت من جديد إلى
آدموند قائلاً:

«إن الأمر متروك لك يا صديقي. ربما يكون الأمر أسهل بالنسبة لك إذا ذهبت
أنت معي وتركت ديليا وزانيتا معاً هنا».

فقال آدموند بلهجة قاطعة:

«لا. من الأفضل أن أبقى أنا هنا، فإن وزني أثقل. أما زانيتا فتستحب معك من الضروري أن تلتزم الشاب المريض فقد يحتاج إلى مساعدتها».

فقال كارلو متسائلاً بسخريّة:

«ومن سيقول لزانيتا هذا؟»

«سأفعل أنا ذلك، المفروض أنني رئيسها وستطيع أوامري. ولكن هل تعتقد أنك ستتمكن من العودة إلينا قبل حلول الظلام؟»

«أنني أشك في ذلك، وربما اضطرت أنت وديليا للقضاء الليلة هنا. وسأحدث إلى الزعيم ليقعد لكما مكاناً تقضيان فيه ليلتكما».

فقال آدموند:

«حسناً. ليس علينا الآن إلا أن ننقل الشاب المريض إلى الطائرة».

فنهض كارلو، وأتجه إلى الكوخ حيث يوجد الرجل المريض، والتفت آدموند إلى زانيتا وأخذ يتحدث إليها بالبرتغالية. ولم تفهم ديليا شيئاً من الحديث. فشغلت نفسها بمساعدة الأطفال وهم يلعبون وسط الأكواخ وهي تعجب في نفسها من هذا الوضع الشاذ فهذا هو آدموند زوجها يحاول أن يشرح لزانيتا كيف أنه من الضروري أن تعود هي مع كارلو ليبقى هو معها... هي زوجته!

وبعد قليل عاد كارلو بصحبة زعيم القبيلة وأم الشاب المريض وأخيه. وقال يحدث آدموند:

«لقد تم الاتفاق على أن تبقى أنت وديليا هنا الليلة. وتم إعداد كوخ لكما فوق آدموند وهو يقول:

«حسناً».

ورقبت ديليا بدورها. وعرفت مساعداتها. وهنا التفت إليها آدموند قائلاً بلهجة امرأة:

«بل ستبين أنت هنا في الظل».

فنظرت إليه وهي تتسأل:

«ألست بحاجة إلى مساعدتي؟»

فنظر إليها ومد يده كما لو كان يريد أن يلمس وجهها، ولكنه سحبها سريعاً وأدار لها ظهره وأبعد عنها. وهو يقول:

«لا. لست بحاجة إلى مساعدتك الآن».

وجلست ديليا من جديد على طرف المقعد الخشبي، وجلست زانيتا على طرفه الآخر. ولكنها قامت فجأة لتنصّب قليلاً ثم جلست بجانب ديليا. وأبندرتها قائلة بلهجة انكليزية ركيكة:

«لماذا حضرت إلى البرازيل؟ ولماذا تبعت آدموند إلى هنا؟»

فانفجرت ديليا متعصبة وهي تقول:

«أنني لم أتبعه. لقد حضرت لأكون إلى جانب آدموند، لأنني زوجته ولأنني أحبه».

واتسعت عينا زانيتا ثم لوت شفتيها وهي تشيح بوجهها بعيداً تجاه الكوخ. ثم قالت وهي تحاول تأكيد كلامها:

«أنه لا يحبك. وإذا كان يحبك حقاً فلماذا لم يتحدث أبداً بأمر زواجه منك. إن المرة الوحيدة التي تحدث فيها عنك، كانت عندما أصيب بالمرض بعد عودته من الأدغال. فقط كان يهذي باسمك وهو يعاني من الحمى».

«ماذا تقولين؟»

«أجل سمعته مراراً يهذي باسمك وباسم شخص يدعى بيتر. ولم أفهم كلامه. وكل ما استنتجته من حديثه أن بيتر هذا ربما كان عشيقك».

ثم تنهدت وهي تقول:

«مسكين آدموند. لقد عانى كثيراً. ولولا وجودي بجانبه لما استطاع التغلب على مرضه».

وشعرت ديليا في هذه اللحظة بغضب شديد لم تشعر بمثله من قبل.

وأدركت كل شيء يدور حولها، وجاهدت طويلاً حتى لا تلتفت إلى هذه المرأة وتصفعها بكل قوتها على وجهها وتنسب فيها مخالفاتها للقضاء عليها.

وقلقتها غير رهيبة لشعورها أن هذه المرأة فعلت مع آدموند ما كان من واجبها هي كزوجة أن تفعله أثناء مرضه.

وبعد أن غالتكت نفسها، أحست بارهاق شديد وبرأسها يؤلها، ولكنها تماسكت وقالت لزانيئا بصوت خافت:

«أشكرك في أية حال للعناية به حتى تمائل للشقاء».

فضحكت زانيئا بسخرية وهي تقول:

«ها... انني لم أفعل ذلك من أجلك. بل من أجل نفسي فقد قابلت آدموند مرتين من قبل. مرة في ريو دي جانيرو وسرنا معاً على الشاطئ، الصخري بينا كان في زيارة لثزل عائلتي، والأخرى في برازيليا وأنا معجبة به جداً. ولذلك تطوعت للعمل في بيثوروس على أمل لقائه مرة أخرى. وقد حدث هذا بالفعل، انني أحبه أكثر مما تحببته وهو أيضاً يحبني. ولذلك يجب أن أبقي معه هنا هذه الليلة ولست أنت».

فصرخت ديليا قائلة:

«يمكنك البقاء، فإن هذا لا يمتشي في شيء».

ثم قالت وهي تنفخ:

«ولكن لا تتوقعني متى أن أذهب، فإن من حقني البقاء مع آدموند هنا، بينما أنت لا تملكين هذا الحق».

واندفعت ديليا تبعد عن زانيئا لأنها لم تعد تطيق البقاء معها أكثر وسارت لا تلوي على شيء ولا تعرف إلى أين تتجه، وشعرت بكلمات زانيئا وكأنها ضربات مطرقة تهوي فوق رأسها، ربما تكون على حق في قولها أن آدموند يحبها، وربما كان ذلك هو السبب الخفي في فعله في رغبته للبقاء في البرازيل.

وشعرت بالعرق يتصبب على ظهرها وساقها، ولكنها استمرت في السير وهي

لا تدري إلى أين. ولكن هل يهم هذا؟ وهل يهم أي شيء مادام آدموند لا يحبها بل يحب امرأة أخرى؟ ربما كان هذا هو السبب في موقفه الراض لها منذ حضورها إلى بيثوراولاندو ومحاولة إعادتها إلى البرازيل.

وتعثرت قدمها في كتلة من الخشب، وسقطت فوق الأرض وفي الحال امتدت إليها الأيدي تساعد على القيام ونظرت ديليا فوجدت مجموعة من الفتيات وقد التفتن حولها، وكان بعضهن عارياً تماماً، وكن جميعاً يحدقن فيها وقد بدا عليهن الغلق.

تقدمت منها إحداهن ولست ذراعها وأشارت لها إلى طريق وسط الأشجار، نظرت ديليا إلى حيث تشير الفتاة، فرأت أحد الأنهار، وأخذت الفتاة تحرك ذراعها كما لو كانت تسبح، ثم أشارت إلى ديليا ثم إلى النهر من جديد. وقهقت ديليا أن الفتاة تريد أن تذهب معهن للاستحمام وحتى تتأكد من ذلك، أشارت ديليا إلى نفسها ثم إلى النهر وأخذت تحرك ذراعها كما لو كانت تسبح، فاهتست الفتاة وهزت رأسها بالإيجاب.

فرحت ديليا بهذه الفكرة، فصحبته الفتيات إلى الشاطئ، حيث وجدت المزيد من الفتيات والأطفال، وما أن رأوا ديليا حتى تجمعوا حولها يبدون إعجابهم بلباسها ومجوهراتها، ثم أشارت لها الفتيات بخلع ملابسها لتصبح عارية مثلهن. فخلعت قميصها وسراويلها، ونزلت إلى النهر، وكانت المياه صافية، وانطلقت ديليا تغوص في الماء تارة، وتسبح تارة أخرى وقد بدأت تشعر بالانتعاش.

وسيت لفترة جميع حومها ومضت ترح مع الفتيات والأطفال.

وخرجت من النهر، وجلست على الشاطئ مع الفتيات تعلمن كيف يبتين الفلاح من الرمال، وأخذت ترسم لهم صوراً للقطارات والعربات والطائرات، والفتيات يضحكن بسعادة.

وشعرت ديليا بالصداع، فعادت إلى مياه النهر للسباحة من جديد، وتبعها

عدد من الصبية وهم يتصايحون.

وسعت ديلبا أصواتاً عالية، فنظرت الى الشاطئ، ورأت مجموعة من رجال القبيلة يتحدثون مع الفتيات.

وغطست ديلبا في الماء وهي تسبح مبتعدة عن الشاطئ. ولاحظت ان بعض الصبية يشعرونها وهم يضحكون ويشيرون اليها ثم الى الماء. فنظرت حولها فرأت شيئاً غامضاً يسبح تحت الماء متجهاً اليها وعلا صياح الصبية وهم يقذفون بأنفسهم بمرح في المياه. فنظرت في حيرة وفجأة وجدت آدموند أمامها.

فصاحت ديلبا تسأله:

«ماذا تفعل هنا؟»

«أبحث عنك. انك حقاً مجنونة. لماذا ذهبت هكذا دون أن تبغني أحداً بذلك. لقد بحثت عنك في كل مكان. لماذا تركت القرية؟»

«لأنني... لأنني... لم أستطع البقاء مع زانيتا والاستماع اليها أكثر من ذلك. آدموند انني سأعود الى بوستوراوولاندو مع كارلو، ويمكنها البقاء معك إذا كان هذا ما تريده أنت.»

ونظر اليها آدموند وقد بدت الحيرة على وجهه. وقال:

«ما هذا الذي تقولينه؟ لقد أقلعت الطائرة منذ ساعة تقريباً. كارلو لم يستطع الانتظار أكثر من ذلك ليتمكن من الوصول الى بوستوراوولاندو قبل أن يحل الظلام.»

ثم نظر اليها بدشة وهو يسأله:

«ماذا قالت لك زانيتا؟»

«قالت من المفروض ان تبقي معك هنا بدلاً مني... وقلت لها بإمكانها ان تفعل ذلك. فهل بقيت هنا؟»

«بالطبع لا. طلبت منها الرحيل وهي تعرف جيداً كيف تطيع الأوامر. لقد رحلت منذ ساعة، وظللت أبحث عنك وأنا أعتقدك قد هسلت طريقك في الأدغال.»

ثم نظر اليها نظرة غريبة وهو يتفجر فيها قائلًا:

«يايك ان تفعل هذا مرة أخرى. هل تسمعين؟»

فقالت ديلبا بغضب:

«تعتقد أنه من حقك انت الاختفاء لعدة أسابيع أو شهر أو ربما لأكثر من عام بدون أن أعرف عنك شيئاً. ثم تحاسبني لأنني اختفيت عن نظرك لفترة قصيرة؟»
وغطست في الماء من جديد، وعندما طفت وأنه مازال يقف بجانبها وهو ينظر اليها يتوع من التهكم. وقال:

«انك دائماً تختارين الأماكن الغريبة لتتألف فيها أمورنا.»

«لأنني لم أفعل هذا. لقد اخترت أنت المكان، وأنت الذي سبحت خلفي الى هنا. كما أنني لم أكن أتألف، ولكنني كنت أعبر عن رأيي. والآن أنت تعرف شعوري. وكيف كنت أشعر بالقلق عندما رحلت وغبت عني لمدة ستة عشر شهراً بدون أن أعرف مكانك.»

«كان بيتر يعرف مكانك. وما كان عليك الا أن تسأليه.»

«فعلت ذلك ولعدة مرات. ولكنه قال لي أنك طلبت منه الا يعرفني بمكانك. ثم بعد ذلك قال انه لا يعرف عنك شيئاً على الاطلاق.»

وأخذت ديلبا تسبح عائدة الى الشاطئ، وتبعها آدموند. وتقدمت الفتيات اليها وهن يتحدثن ثم صحبتهن معهن بعيداً عن آدموند. خلف شجرة كبيرة. وقدمت لها احداهن وشاحاً طويلاً من النسيج القطني وأشارت لها بأن تضعه فوق جسدها. فأخذت ديلبا الشاح والفته حول جسدها على هيئة الساري الهندي. فصفقت الفتيات بسعادة وزعت احداهن زهرة حمراء كبيرة من شعرها، وشقنها في شعر ديلبا. خلف أذنها. فصفقت الفتيات من جديد وهن يضحكن.

ثم أخذتها إحدى الفتيات من يدها، وصحبتهن الى حيث كان يقف آدموند الذي كان قد ارتدى ثيابه. وأمسكت الفتاة باحدى يديه، فوضعتها في يد ديلبا. وفجأة وقف الجميع في صمت تام. فجذب آدموند ديلبا اليه وهو يمس

«أعتقد أنهم يتوقعون مني أن أبدي إعجابي بك. ولو أنني لا أبدو مناسباً لك وأنا ارتدي هذه الثياب».

«ربما يكون من الأفضل لك أن تضع مثلهم بعض الريش في شعرك وتطلعي وجهك بالطلاء الأحمر».

«وهل أعجبك لو فعلت هذا».

ودعشت ديليا للقرعة، فهمست قائلة:

«لا. فأنت تعجبني كما أنت. وكان هذا شعوري تحرك دانيال».

فأحس آدموند رأسه وعانقها.

وظلت ديليا لفترة طويلة تسير وكأنها في حلم جميل وهي تستعيد مشهد عائلتها. وسارت مع آدموند ووراءها مجموعة الفتيات إلى القرية.

وبعد أن وصلا إلى القرية، صحبها أحد كبار رجال القبيلة في جولة بين الأكواخ، وكان يتحدث القليل من البرتغالية.

وقال لهم أن قبيلته مشهورة بصناعة الأواني الفخارية، وقادها إلى أحد الأكواخ حيث وجدوا بداخله رجلاً مسناً يصنع وعاء من الفخار. وقد تناثرت حوله الكثير من الأواني الجميلة الصنع من جميع الأشكال والأحجام.

وأبدت ديليا إعجابها الشديد بمهارة الرجل، واشترت بعض الهدايا، كما اشترى آدموند بعضاً منها.

وعندما خرجوا من الكوخ، كان قرص الشمس يكاد يختفي وراء الأفق، وقد اكتسبت السماء لوناً جميلاً هو خليط من البرتغالي والفرمزي والذهبي.

وتناولوا الطعام في منزل الدليل الذي يرافقها، وكان مكوناً من السمك والأرز والفاصوليا، وعصير الفواكه الطازجة.

وبعد أن انتهوا من تناول الطعام، خرجوا جميعاً لمشاهدة الرقص الذي يقدمه رجال القبيلة. وكان القمر قد برز وبدأ ضوءه ينتشر في المكان.

وبدأ الرقص على قرع الطبول المدوية، واشترك فيه ستة من رجال القبيلة يضعون حول وسطهم أحزمة يتدلى منها ما يشبه الحشائش الصفراء. وقد ارتدوا أغشية رأس من الريش الطويل الزاهي اللون، ووضعوا أجنحة من أوراق الشجر العريضة الخضراء.

كان المنظر رائعاً وشاعرياً، وشعرت ديليا بحواسها تنقبض وهي تجلس بجانب آدموند على كتلة خشبية. وبدأ وكأن الرقص ودقات الطبول أيقظت حواسه هو أيضاً، فشعرت بذراعه العارية تلامس ذراعها. وكان ملاصقاً لها، ثم امتدت ذراعه لتحيط بخصرها، وأصابعه تتحرك بركة فوق ظهرها.

وبدأ قلبها يدق بشدة وقد أثارتها انغماس الطبول الصاخبة وشعرت بآدموند يضغط بأصابعه على خصرها وهو يقربها منه، وأحسَّت بأنفاسه وهو يقترب منها ليهمس في أذنها قائلاً:

«هيا بنا نذهب للنوم».

«أين».

«في الكوخ الذي أعد لنا».

«ألا يجدر بنا أن نتنظر قليلاً، فقد يشعرون بالاستياء إذا نحن غادروا المكان قبل انتهاء الرقصة».

«لا أعتقد ذلك» ابلقت الرجل الذي كان يصحبنا أننا لن نملك طويلاً، وقد بدا متفهماً تماماً... تعالى».

وأمسك آدموند بيدها، وقادها بين الأعشاب الطويلة إلى حيث توجد الأكواخ. وكان الجو دافئاً ومشبعاً برائحة الغابة، والسكون يلف المكان الذي بدا حالماً في ضوء القمر.

ولم تكن ديليا تسمع سوى دقات الطبول المثيرة التي اشعلت حواسها. وداخل الكوخ كان يوجد مصباح معلق في أحد القوائم الخشبية التي يستند إليها السقف. ونظرت ديليا حولها وصاحت قائلة:

«أره. لا يوجد سوى فراش واحد معلق».

ثم توقفت أمام الفراش الذي بدا عريضاً. وقالت:
«الأفضل أن نذهب ونطلب منهم فراشاً آخر».

فقال آدموند بعدم اكتراث وهو يخلع قميصه:
«ولكننا لسنا في حاجة إلى فراش آخر. هذا الفراش كبير يكفي لنا».

ووقفت ديليا في مكانها يتنازعها شعوران: شعور بالخوف وشعور بالرجاء.
وهي لا تفهم تماماً ماذا يقصد آدموند.

ثم خلع آدموند سرواله وعلقه مع القميص في أريطة الفراش المعلق. وتقدم نحو ديليا التي وقفت تنظر إليه وقد بدا لون صدره وكنتفيه العاريين برونزياً جذاباً في الضوء الخافت. وارتسمت ابتسامة غامضة على شفتيه. وقال لها آدموند:
«هل ستذهبن إلى الفراش وانت تلفين حول جسدك هذا الوشاح أم تريدن أن أساعدك على خلعك».

قرعت يديها لتجلب عفدة الوشاح. وهست وهي تنظر إلى آدموند:
«هل أنت متأكد؟»

«متأكد من ماذا؟»

لسألته بصوت مرتجف:

«هل أنت متأكد من أنك تريدني أن أشاركك هذا الفراش. لم يبدو عليك ذلك من قبل».

فقال وهو يأخذ منها الوشاح ليعلقه:

«انسي كل شيء عن الماضي».

ثم قال وهو يتجه إلى الفراش:

«المشكلة الآن هي كالمعتاد كيف ندخل إلى الفراش بدون أن نتبع فرصة للبعوض بالدخول معنا».

ثم التفت إليها يسألها:

«هيه. هل أنت على استعداد للصعود إلى الفراش؟»

ومد آدموند يده لها. فأمسكت بها وهي تشغرها لو كانت مطلوبة الإرادة.
وصعدت إلى الفراش ودخلت تحت الشباك الواقية من البعوض. وقال لها آدموند بصوت أمر:

«ادخلني هذاك. وناوليه لي».

فأطاعته. وبعد أن أعطته الحذاء. استلقت على ظهرها في الفراش وقد تلاحت ضربات قلبها. وكان شيئاً لها أن صدى هذه الضربات يتردد في جنبات الكوخ.

كان الفراش يتسع بالفعل لشخصين بنامان ملتصقين ببعضهما بعضاً.
وأثارتها فكرة نومها بين ذراعي آدموند. وشعرت ببركان تشتعل في داخلها. وأطفاً آدموند المصباح. ثم سمعته يضحك وهو يسك بحافة الفراش ليصعد إليه وهو يقول:

«أرجو ألا يسقط بنا».

وتأرجع الفراش. بينما كان آدموند ينزلق لينام إلى جانبها. وأحست ديليا بدفء قدميه وساتيه العاريين وهما تلتصقان بها. ثم دفع بذراعه تحت كتفها. فأستندت رأسها على صدره وهي تستمع إلى دقات قلبه.

وهمس آدموند يسألها:

«هل تشعرين براحة هكذا؟»

«نعم. شكراً».

وشعرت بصدره يعلو ويهبط وهو يضحك. ثم لال وهو يحاول أن يقلد كلامها.

«نعم. شكراً. انك دائماً مهذبة للغاية وأنت تستخدمين مثل هذه الكلمات».

«لقد تعودت على ذلك منذ كنت طفلة صغيرة في المدرسة وعندما كنت أذهب عند خالتي مارشا».

«هل التقيت بها مؤخراً؟»

وعال في الأصابع

«لا، ولكنها أرسلت إلي خطاب تعاتبني فيه لأنني لم أستمع إلى نصيحتها وتحذيرها لي بشأنك».

فصاح بدعشة:

«وهل حذرتك مني؟ ومتى حدث هذا؟»

«كان ذلك بعد أول لقاء لي معك. نصحتني في ذلك الوقت بعدم التورط في علاقة معك. وعندما رفضت الاستماع إليها، وصفتني بأنني غبية؟»

وأعقب ذلك فترة من الصمت، قطعها آدموند قائلاً بصوت خافت:

«ربما كانت على حق. لقد كان من الأفضل لك أن تتزوجي شخصاً مثل بيتر، فإنه كان سيعدك ويبقى إلى جانبك ويوفر لك منزلاً مريحاً. انني لا أزال لا أفهم لماذا لم تحاولي الحصول على الطلاق مني».

«لم أكن أستطيع فعل ذلك، من دون أن أراك أولاً».

«لقد فهمت من بيتر أن هذا لا يهم في شيء، طالما أنني أبلغته بوصفه المخامي الموكل عني بموافقتي على الطلاق وقال إنه سيبذلني بتطورات الأمور، ولكنه لم يفعل ذلك أبداً».

«هل كتبت إليه؟»

«مرتين».

«ولماذا لم تكتب إلي؟»

وسادت فترة أخرى من الصمت، ثم شعرت بأصابعه تتخلل شعرها وتعبث به، وهو يمس قائلاً:

«لم أعتقد أنك تريدني أن اسمعي أي شيء عني بعدما حدث بيننا يا الهي، لو عرفت مقدار ما شعرت به من ألم».

وأحست ديليا وكأن هذه الكلمات تخرج من أعماقه، فشعرت برغبة شديدة في التحقيق عنه، فرفعت يدها ولمست وجهه بأصابعها وهي تربت عليها برفق، وهمت قائلة:

«لقد كانت غلطتي».

وأضاف وهي تشعر بالراحة لأنها اعترفت له أخيراً بأنها أخطأت:

«لم يكن من اللائق أن أنصرف بتلك الطريقة، ولكنني كنت خائفة ولم أفهمك فقد كنا نعرف القليل عن بعضنا، وكان بيتر قد أخبرني أنك ربما تكون غير مخلص لي وأنت بعيد عني».

فقاطعتها آدموند بعدة:

«بيتر، بيتر، يبدو أن كل شيء يدور حوله لقد كنا حتى نتصل ببعضنا عن طريق بيتر».

«انني أعرف ذلك، ولقد حاولت الاتصال بك، ولكنه كان دائماً يبتا. وفي تلك الليلة، عندما عدت إلى المنزل ولم أجده، انتظرت طوال الليل وكنت أود أن أعترض اليك، ولكنك لم تحضر وانتظرت أن تتصل بي في الصباح بعد ذهابي إلى عملي، ثم عدت إلى المنزل على أمل أن أجده قد عدت، ولكن، ولكنك كنت قد رحلت. يا آدموند كم كان الأمر فظيماً».

وتساقطت الدموع من عينيها على صدره، فرفع وجهها إليه وهو يجفف دموعها، ثم طبع قبلة رقيقة على خدها.

وشعرت ديليا بشفيه دانتين، فاستجابت له وأحاطت عنقه بذراعيها وهي تضغط عليه وتقربه منها كما لو كانت تقول له إنها لا تريد أن يبتعد عنها. وشعرت بأصابعه تلمس كل جزء من جسدها بحتان، ورفع آدموند رأسه وهو يقول هامساً:

«ديليا، أنت تعرفين ما الذي أريده منك الآن؟ ولكن، هل تريدني أنت ذلك أيضاً؟ انني لن أحاول أن أخيفك مرة أخرى».

فاحتضنته ديليا بقوة وهي تشعر بسعادة كبيرة وجسدها يلتصق بجسده وهمت قائلة:

«نعم، يا آدموند أرجوك، لقد اشتقت اليك كثيراً، وانتظرت هذا اللقاء منذ فترة طويلة وكنت أتوق اليه. كنت في شوق الى حبلك، ولهذا جئت الى اليرازيل لأكون الى جانبك».

واندفع آدموند يحتضنها بحب واستجايت له ديليا وتأرجح الفراش وهما يتعانقان وصوت الطبول يدوي في الخارج بعنف.

٦ - خذني معك

استيقظت ديليا في الليل على صوت الرعد وعلى الأم فظيعة في معدتها. وكان آدموند يضع رأسه على صدرها وهو مستغرق في نوم عميق وعلى الرغم من آلامها، نظرت اليه ديليا في الظلام وهي تبسم، فقد كان لقاؤها ممتعاً برغم ضيق الفراش. وعجبت ديليا من نفسها، كيف أن هذا اللقاء لم يتم من أول ليلة قضتها مع آدموند في بوستراورلاندو ولكنها تذكرت قوله لها: يلزمنا الوقت لنسى ونغفر، وأدركت في تلك اللحظة أنه على حق، وأن الزمن كفيل باصلاح ما أفسده بيتر الذي كانا يشقان به، ولكنه، وهو الصديق المخلص، كان يشعر بالغيرة منها.

وأضاء الكوخ ضوء البرق الذي نفذ من فتحة الدخان الموجودة بالسقف ورعدت السماء. وشعرت ديليا من جديد بألم يكاد يمزق معدتها وأضائها الغثيان، فهبست قائلة لآدموند: «يجب أن أقوم».

ولكن آدموند لم يسمعها، وكان مستغرقاً تماماً في النوم. فسحبت ذراعها برفق من تحت كتفه، وهبطت بسرعة من الفراش، واندفعت خارج الكوخ بدون أن تتسكن من وضع أي ثياب عليها. وجرت بسرعة داخل الغابة لتستند الى إحدى الأشجار وتفرغ ما في جوفها، وأخذت ديليا ترتجف وهي لا تكاد تقوى على الوقوف.

وما كادت تنالك نفسها قليلاً، وتوجه للعودة الى الكوخ، حتى شعرت بالغثيان

من جديد. واستمرت على هذه الحالة عدة مرات شعرت بعدها بارهاق شديد، ولم تكن تقوى حتى على السير، ولكنها بذلت كل ما تبقى لها من جهد لترحف في بطن شديد عائداً الى الكوخ وكانت الأمطار قد بدأت في السقوط بغزارة.

وأخيراً وصلت الى الكوخ وقد ابتل شعرها وجسدها، ووصلت الى حيث يوجد الفراش، واستندت الى حافته وهي لا تكاد تقوى على الوقوف على قدميها. وشعر آدموند بها فهبط من الفراش مسرعاً، ونظر اليها بخوف وقد وقفت ترعيف والمياه تتساقط من جسدها.

وأمسك بها وهي تترنح، وسألها بقلق: «ماذا حدث؟ وأين كنت؟»

فأجابته وهي لا تكاد تقوى على الحديث:

«أشعر بشعب شديد. وأعتقد أنني أصبت بالدوسنتاريا. أشعر بالغثيان وقد أفرغت ما في جوفي».

وفاجأتها موجة جديدة من الألم، فتلوت وهي تضغط على معدتها بقوة. ف جذب آدموند الغطاء من داخل الفراش، ولفه حول جسدها بإحكام، ثم حملها ووضعها فوق الفراش، وصعد حيث استلقى الى جوارها وقد ضمها اليه بقوة في محاولة لتدقيتها، وهو يسألها:

«لقد كنت تشعرين بالتعب طوال اليوم أليس هذا صحيحاً؟»

فأجابت بصوت ضعيف:

«نعم. استيقظت صباحاً وأنا أشعر بصداع شديد وغثيان».

فسألها:

«إذاً، لماذا وافلتت على الحضور معنا في هذه الرحلة؟»

فجالت وهي ما زالت ترعيف:

«لأنني أردت أن... أن أكون معك. وأن أذهب معك الى أي مكان تذهب اليه. كانت هذه هي أول مرة تسألني فيها الذهاب معك. ولم يكن باستطاعتي

أن أرفض وأضيق فرصة وجودي معك. لمجرد أنني أشعر بالصداع» قال بفضب:

«ما كان عليك الحضور وأنت تشعرين بالتعب. لقد أخطأت لأنني سمحت لك بالحضور. لقد طلبت منك المشي فقط لأنني إذا لم أفعل ذلك، فإن كارلو كان سيفعله. وقد حاولت جعلك ترفضين بأن تظاهرت بعدم الاهتمام بحضورك معنا. كنت أخشى عليك. وكنت أعرف أنه سيحدث شيء لك».

«ولكن لو لم احضر معك، لما تمكنا من...»

وتوقفت دليلاً فجأة، وأخذت تتلوى وتثأوه وهي تضغط على معدتها، فضمها آدموند اليه بقوة وكأنه يريد أن يخفف عنها الألم وهو يزمجر قائلاً: «كان يجب علي أن أرسلك مع كارلو في الطائرة بدلاً من زانيتا». فهمت دليلاً من بين آلامها لثالثة:

«إن زانيتا محبب».

فسألها بدهشة:

«وكيف عرفت ذلك؟»

«هي قالت لي. كما أنني لاحظت الطريقة التي استقبلتك بها عند وصولنا الى بينوروس، وكيف عانقتك وقبلتك باشتياق».

«كان عناقها لي شيئاً طبيعياً. لأن هذه هي الطريقة التي يحيي بها البرازيليون معارفهم. ولا شيء أكثر من ذلك».

وكان التعب قد اشتد على دليلاً، وارتفعت حرارتها، ولم تعد قادرة على التحكم في حديثها، فقالت بصوت ضعيف:

«وقالت لي زانيتا أيضاً أنك مشيت معنا تحت ضوء القمر عندما كنت في زيارة لمنزل أسرته. وقد رافقتها وهي تتحدث معك على مائدة العشاء، ورأيت كيف أنها لم تكن تشعر بوجود أحد غيرك. وكيف كنت تنصت اليها باهتمام، وتبادلنا الحديث والابتسام».

«كان الأدب يقتضي مني ذلك. ولكنني لم أكن أنصت إليها. فقد كنت مشغولاً بمراقبتك وأنت تتحدثين وتضحكين مع كارلو. إن أي شخص كان يراكما تتحدثان بهذه الطريقة، يعتقد أنكما تعرفان بعضكما منذ فترة طويلة. فقد استحوذ كارلو على كل اهتمامك في تلك الليلة. بل إنه حتى نجراً وقبل بذلك وهو يودعك على باب الكوخ.»

«وكيف عرفت ذلك، وأنت لم تكن موجوداً في ذلك الوقت؟»

«بل كنت موجوداً. وقد سرت خلفك.»

«كنت أعتقد أنك ذهبت مع زانيتا.»

«لا. لم أذهب معها. بل وفقت لأتحدث قليلاً مع كارلو بعد دخولك الى الكوخ.»

«إن كارلو شخص لطيف للغاية.»

«وأنا. أليس كذلك؟»

«إنك لطيف مع أي شخص آخر. ولكن ليس معي.»

ثم رفعت وجهها اليه في أعياء شديد، وهي تسأله:

«هل زانيتا هي السبب. هل هي السبب في رفضك العودة الى لندن؟ إذا كان الأمر كذلك، فانتني على استعداد لأفعل كل ما تريده. هل تريد ذلك حقاً؟ هل تريد ذلك؟»

فقال ادموند وهو يضع يده على جبهتها:

«إنك تهذين يا حبيبتي، ارتفعت حرارتك ولا تدبرين ما تقولين.»

«لا. ليس هذا صحيحاً. انتني أشعر بالحرارة الشديدة. وأريد أن أشرب أرجوك يا ادموند. إن تقول لي هل تريدني أن ابتعد عنك؟ هل تريد ذلك فعلاً؟»

«إنك تهذين.»

«لا. انتني أعرف تماماً ما أقول. وأريد أن أعرف الآن. ومن الضروري أن أعرف قبل أن أعود الى لندن أرجوك يا ادموند. أرجوك.»

«ماذا تريدان أن تعرفي؟»

«أريد أن أعرف ما إذا كنت تريدني فعلاً أن أمضي في إجراءات الطلاق حتى يمكنك الزواج من زانيتا أو يا ادموند أين تتركني لتذهب؟»

وكان ادموند قد تحرك لينزل من الفراش. فقال:

«سأذهب لأحضر لك شيئاً ليسكن ألامك. ولن أعيب طويلاً.»

وبدأت ديليا تشعر بالدوار. وبدأ كل شيء وكأنه يدور ويسرائص من حولها. وشعرت كأن الظلام بدأ يزحف ليغلف كل ما حولها. ثم شعرت بأصابع تلمس ذراعها. فرفعت رأسها لترى من يلف بجانبها ولكن رأسها سقط وهي تغيب عن الوعي.

وعندما أفاق ديليا بعد ذلك. كان ضوء النهار قد ملأ المكان ووجدت نفسها. وقد وضعت فوق محفة بعد أن لفت بعناية بلاءة نظيفة وهي تحصل خارج الكوخ. ورأت وجهاً يتحنن لينظر إليها. عرفت فيه وجه كارلو الذي ما أن رآها تفتح عينيها حتى ابتدراها قائلاً وهو يبتسم:

«كيف حالك يا ديليا؟ كم أنا حزين لمريضك ولكن شكراً لله فقد بدأت تستردين وعيك. والآن. هل تعتقدين أنه يمكنك مساعدتي على الصعود الى الطائرة؟ فسألته بصوت رهاق:

«أين ادموند؟»

فجاءها صوت ادموند يطمئنها. وهو يقول:

«انتني هنا يا ديليا بجانبك.»

ثم أمسك ادموند بيدها. فنظرت الى وجهه. ولاحظت أنه يبدو عليه الإرهاق الشديد وقد ظهرت الحالات السوداء تحت عيني الزرقاوين فتذكرت في هذه اللحظة. قول لويز أن ادموند في حاجة الى الراحة. فهو يشعر بالتعب سريعاً. فهمت قائلة:

«ادموند يجب أن تأخذ نسيطة من الراحة. فأنت مرهق للغاية.»

«سأفعل ذلك عندما أنتهي مما أقوم به. أما الآن فانتا منذهب رأساً إلى يوستو أورلاندو حيث أضعك في سريرك لتأخذ كفايتك من النوم. هيا دعيني أساعدك على الجلوس».

ومد ادموند يده ليساعدها على الجلوس، فقالت:
«انتي أشعر بتعب شديد. وكل شيء يدور من حولي».

فقال ادموند ببطئها:

«لا تخشي شيئاً. أعطيتك حقنة مخدرة لأخفف آلامك. وستكونين بخير بعد أن يزول مفعول المخدر. والآن سأحاول مساعدتك لكي تصعدي إلى الطائرة».

ورفعها ادموند بمساعدة كارلو الذي سبّلها في الصعود ووضعها ادموند فوق المقعد في الطائرة وجلس بجانبها. وبعد قليل أفلعت الطائرة ووقف الأهالي يلوحون لها. وكانت ديليا في حالة من الارهاق الشديد لم تتمكن معها حتى من رفع يدها لترد تحيتهم. وما أن مضى وقت قصير حتى أغلضت ديليا عينيها لروح من جديد في غيبوبة.

ولم تستيقظ ديليا إلا بعد بضع ساعات لتجد نفسها فوق سريرها في غرفة ادموند في يوستو أورلاندو. وكان الوقت ليلاً. وأزاحت الغطاء. وهي تنظر حولها، فرأت ادموند يجلس إلى المائدة الصغيرة يكتب وقد بدا عليه التركيز الشديد وهو يدخن السيكار. وسألت ديليا بصوت ضعيف:
«ماذا تفعل؟»

فأنتبه ادموند والتفت إليها قائلاً وهو يتسهم:

«أهلاً. ها قد عدت إلى وعيك. انني اكتب التقرير وأنت كيف تشعرين الآن؟»
ثم قام من فوق مقعده، واتجه إلى الفراش حيث ترقد ديليا وجلس على حافته ونظر إليها نظرة متفحصية. فقالت ديليا وهي ما زالت في حالة من عدم الاتزان:

«انتي أشعر بضعف شديد».

ثم وضعت يدها على معدتها وهي تضيف:
«أشعر كما لو كان بداخلي فراغ كبير تماماً مثل ما حدث لي بعد أن فقدت طفلي».

فظهرت الدهشة الشديدة على ادموند، وسأها في خفة:

«أي طفل هذا؟»

فرفعت إليه عينيّين يتقلها النوم. ورأته يتحني فوقها وقد بدت في عينيها نظرة شك رهيبية. وأبقت ديليا في هذه اللحظة أنها أخطأت بالحديث عن الطفل. ولكن لم يكن أمامها مجال للتراجع فقد خرج الأمر من يدها.
وأمسك ادموند يكتفيا وهو يقول في صوت أمر:
«ديليا. أي طفل! يجب أن تقول لي».

فهبت قائلة:

«طفلتنا يا ادموند».

فرأت وجهه وقد شحب شحوباً شديداً. فرفعت يدها تربّت على وجهه في حنان. وهي تقول:

«أوه يا ادموند. كم أنا أسفة لأنني فقدته. ولكنه ولد قبل مواعده. ومات بعد ولادته بضع دقائق».

فقاطعتها ادموند بصوت غامض والشرر يتطاير من عينيها:

«لماذا لم تخبريني بذلك! كان من الضروري أن أعرف كل شيء. كان من حقني أن أعرف».

«ولكنني حاولت ذلك بالفعل».

ثم صاحبت قائلة. وقد رأت ظلالاً من الشك ترسم على وجهه:

«صدقني يا ادموند. أقسم لك حاولت أن أخبرك. لقد حاولت بالفعل وكنت أريدك أن تعرف. أوه يا ادموند أرجوك أن تصدقني. انتي لم أستطع معرفة مكانك. ولم يكن أحد يعرف أين ذهبت. فإن الصليب الأحمر لم يستطع أن يخبرني بمكان وجودك. ذهبت إلى معهد الأبحاث الذي كنت تعمل به. وكل ما

استطعت أن أحصل عليه هو عتوان عمك الكبير في هامشهاير. وقد كتبت له على الفور أسأله. أوه يا آدموند لقد حاولت كثيراً. وأرجوك أن تصدقني». فبدأ على وجهه النجهم، وهو يقول:

«بيتر كان يعرف مكاني».

«أعرف ذلك. ولكنه كما أخبرتك من قبل لم يشأ أن يخبرني بمكانك لأنه لا يستطيع أن يخون ثقتك به. وبعد أن تأكد لي أنه يريدني أن أحصل على الطلاق حتى يتمكن من الزواج مني، لم أعد أثق به، وتوقفت عن لقائه ولم أخبره حتى بأنني حامل. هل طلبت منه يا آدموند حقاً ألا يخبرني عن مكانك؟»

فهز آدموند رأسه بالنفي ببطء، وقال بصوت حزين:

«لا. انني لم أطلب منه ذلك. كل ما طلبته منه هو أجهتك الى طلبك اذا كنت ترغبين في الحصول على الطلاق».

وبدا الألم واضحاً على وجه آدموند، فترك كتبها وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً، ثم توقف وظهره الى ديليا وقال:

«لقد طلبت منه أن يكتب اليّ بأي تطور يحدث».

ثم التفت اليها فجأة:

«لو أنني عرفت بأمر الطفل، لو أن أحداً أبلغني بذلك، لعدت لأكون الى جانبك واعتني بك. وربما أمكن انقاذ الطفل من الموت. أهدأ ما كنت تقصديته تلك الليلة عندما كنت تتناولين الحبوب المومة، وسألتك عما اذا كنت قد أصبت بالمرض حديثاً، فقلت تقريباً أليس هذا صحيحاً؟»

فهزت ديليا رأسها بالإيجاب وهي لا تقوى على الحديث فقد كان غضبه عنيفاً، ولم تكن تتوقع ان يصل به الغضب الى هذا الحد عندما يعرف بأمر الطفل الذي فقدته.

ثم تنفس آدموند بعمق، ونظر اليها في لوم وهو يقول:

«قلت لي في تلك الليلة ان المسألة لا تعنيني. كيف تتجراؤين على مثل هذا القول

وأنت تعرقين أن الطفل اني. جزء مني. فلماذا لم تخبريني عندما سألتك؟» «لم أستطع في ذلك الوقت. كان موقفك مني في اليوم السابق غير مشجع. ولم أكن أريدك أن تظن أنني أستغل هذه المسألة لأحاول استعادتك الى حبي. ولم أكن أعرف أيضاً أنك ستهم بمسألة الطفل الى هذه الدرجة».

فصاح آدموند قائلاً:

«كيف لا أهتم؟ ماذا تعنيني؟ حجر اني انسان ولذي مشاعر مثلك تماماً. لقد تجاهلتيني تماماً يا ديليا في مسألة لا تهلك وحدك، بل تهمني أنا أيضاً. انك لم تنجلي بي الى الدرجة الكافية لتبلغيني بأمر الطفل».

ثم أضاف بلهجة يشوبها التهكم:

«ربما كان هذا الأمر غير مهم بالنسبة لك. وربما كنت لا تريدن الطفل وترغبين في التخلص منه».

ثم استدار آدموند، واتجه الى الباب، وخرج من الغرفة وأغلق الباب وراءه بعنف.

وبقيت ديليا في فراشها لبعض الوقت تنظر في سقف الغرفة بذهول ودموعها تتساقط على وجهها. وبعد قليل أدركها النوم من جديد ليرجعها من عذابها.

ولم تستيقظ الا في الصباح وكانت قد استيقظت على صوت آدموند وهو يغتسل في الحمام. ونظرت حوله فأثارت حمية ملايحه وضعت فوق فراشه وتناثرت بعض الملابس من حوله وكانت تبدو في حالة غير لائقة. وشعرت ديليا برغبة شديدة في القيام بدور الزوجة. وقت لو أخذت ملابس آدموند لتغسلها في النهر. كما رأت النسوة يفعلن في القرية التي ذهبت اليها. وأزاحت الغطاء وزلت من الفراش. وكانت لا تزال تشعر ببعض التعب ولكن النوار كان قد زال.

وانحبت الى فراش آدموند. فجلست على حافته. وبدأت بإخراج ملايحه من الخلفية، وكان معظمها ممزقاً وفي حاجة الى النظافة.

وفجأة سمعت صوت ادموند يقول في غضب:

«يبدو أنني لا أستطيع تركك بفردك لحظة واحدة، دون أن تفعل ما لا يجب عليك فعله»

تنظرت إليه في ضعف، ولكنه أضاف بحدّة:

«عودي إلى فراشك فوراً، فلست في حالة تسمح لك بالتحرك الآن».

فرفعت إليه وجهها وهي تقول:

«ولكنني أشعر بتحسن، ثم إن ملابسك في حالة يرثى لها».

فنظر إليها في تحد وقال:

«وماذا في ذلك؟»

ثم اندفع ناحيتها وجذب الملابس من يدها بعنف ولتف بها داخل الحقيبة، وهو يقول:

«اتركي ملابسك على حالها، ليس لك شأن بها».

فاعترضت ديليا قائلة:

«ولكنني زوجتك، وبصفتي هذه، فانه يجب علي العناية بها وغسلها».

«وأنت بوصفك زوجتي، كان يجب عليك أن ترخي بعودتي إليك في لندن منذ ستة عشر شهراً، وبوصفك زوجتي أيضاً، كان يجب عليك أن تخبريني بأمر الطفل، والآن، هيا عودي إلى فراشك يا سيدة تاليوت».

فصاحت ديليا في استياء قائلة:

«أوه، ليتني لم أخبرك بأمر الطفل، انني لم أقصد أن أسوء إليك أنني حقاً آسفة».

فقال ادموند بلهجة تشويها السخرية:

«إنني أتذكر الآن موقفاً مشابهاً حاولت فيه الاعتذار لك، ولكنك لم تستمعي إلي».

والآن عودي فوراً إلى فراشك».

فقالت وهي تنجس إلى فراشها:

«حسناً، ولكن هذا القيص ليس به أزرار».

«هذا شيء طبيعي بعد تشبك به عندما كدت تسفطين على الشاطئ»!

واستلقت ديليا على الفراش وهي تشعر بالخزن، وجلبت الغطاء فوقها

وأخذت تراقبه وهو يخرج قميصاً من الحقيبة ويرتديه وقالت مستفسرة:

«هل تعرف سبب إصابتي بالمرض؟»

«ربما كان ذلك بسبب تسمم غذائي مصحوب بالدوسنتاريا، أو ربما بسبب تناولك

طعاماً لم تتمكن معدتك من هضمه، وعلى فكرة، هل تشعرين بالجوع؟»

«لا، ليس بعد».

وتذكرت ديليا وهي تستمع إلى لحنه الفاتر، موقفه العنيف منها في تلك

الليلة التي قضياها معاً في القرية عندما شاركته الفراش، وأخذت تسأل نفسها

في أمي، هل كان ما حدث بينهما مجرد اتصال أم أنه الغريزة والظروف التي

احاطت بهما؟ ألم يكن يعني هذا اللقاء شيئاً بالثقة لادموند؟ وهل كانت

عواطفه نحوها في ذلك الوقت مجرد عواطف أثارها نداء الغريزة وتلاشت بمجرد

اشباع رغبته.

وقفت ديليا وهي تراقبه أن يأتي ليجلس إلى جانبها، ويمسك بيدها في حنان

ليقبلها، وهذا لما وكأنه يجهز حقيبتها استعداداً للسفر، وأخذ يلفف داخلها بجميع

حاجياتها، وبعد أن انتهى من ذلك، أغلقها وأحجبه إلى الفراش حيث ترقد ديليا

وجلس على حافته وأمسك بيدها كما قنت من قبل، ولكنه لم يقبلها بل كان يريد

قياس نبضها، وبعد أن انتهى من ذلك نهض وافقاً وهو يقول كطبيب:

«أنتك تبدين في حالة طيبة الآن، ولكن حالتك لن تتحسن تماماً قبل أن تتناولي

بعض الطعام، ويمكنك أن تبدأ بتناول أطعمة خفيفة حتى لا يعاودك المرض».

ثم ترفف قليلاً، واستطرد يقول:

«في أي حال ستعودين إلى ريو دي جانيرو غداً، حيث يمكنك تناول الأطعمة

الجيدة».

فجلست في فراشها وقد بدأ شعور بالخوف يزحف إلى نفسها، وسألته:

«وأنت. ألن تذهب معي؟»

فأجابها بالنفي وهو يبتعد عنها، ثم أخذ حقيبة ملبسه من فوق الفراش، وأمسك بيده الأخرى حقيبة الطبيب، وقال:
«إنتي سألتيه إلى فينيتال بصحبة ماثويل. وسينقلنا كارلو بالطائرة إلى هناك بعد حوال خمس دقائق».

فضاحت تسأله:

«ولكن لماذا تعود إلى هناك من جديد؟»

«لقد وصلت رسالة إلى لويز تقول أن وباء الانفلونزا قد تفشى بين الأهالي بصورة خطيرة. طلب لويز منا التوجه إلى هناك للقيام بواجبنا».

فقالت ديليا وهي تغادر الفراش:

«إذا أخذني معك. أرجوك يا ادموند».

ثم وضعت يدها على صدره وهي تتوصل إليه من جديد:

«أرجوك يا ادموند. خذني معك».

فقال بلهجة قاطعة:

«لا. ستعودين في طائرة الامدادات شداً إلى ريودي جانيرو. لقد أعدت كل شيء. وستذهب ريتا معك على نفس الطائرة فهي تريد زيارة أطفالها. وقد دعيتك لبقاء معها بضعة أيام ريثما تستردين صحتك تماماً. فأنت في حاجة إلى الراحة والطعام الجيد».

«ولكنك أنت أيضاً في حاجة إلى الراحة. أليس هناك أطباء غيرك؟ وماذا عن

الدكتورة ميريللي. ألا يمكنها هي الذهاب؟»

«إنها ستذهب معنا أيضاً. وهي موجودة هنا، والجميع في انتظارها. أما أنت فانه من الأفضل لك الذهاب مع ريتا».

وشعرت بالقيرة تتأجج في صدرها، وقد عرفت أن زانيتا ستذهب مع

ادموند، فقالت في إصرار:

«ولكنني أريد الذهاب معك».

فقال في جفاء وهو يدفعها بعيداً عنه:

«حسناً. أنا لا أريدك معي. والآن عودي إلى فراشك».

وترنحت ديليا قليلاً، فألقى بحقيبته على الأرض وأسرع إليها يستدها.

وأمسك بذراعها وهو ينظر إليها قائلاً: فيها يشبه الاعتذار.

«لقد أسأت إليك من جديد. أليس كذلك؟ اسمعي يا ديليا. أنت تعرفين أنه

يجب علي الذهاب، فأنا طبيب أليس نداء واجبي سواء هنا أو في لندن».

«ولكن الأمر يختلف هنا. بإمكانك أن تأخذني معك. ولكنك لا تحبني ولم تحبني

في يوم من الأيام. أو، يا ادموند إذا كنت تحبني حقاً، فخذني معك».

فترك ادموند ذراعها، وقال وهو يبتعد عنها:

«الوقت لا يتسع الآن لمناقشة هذه المسألة. وأنا لا يمكنني المخاطرة بأخذك معي،

فأنت ما زلت ضعيفة وسيكون من السهل في حالتك هذه إصابتك بالمرض، وأنا

لا أستطيع تحمل هذه المسؤولية، أما بالنسبة لاتهامك لي بأنني لا أحبك، فأنتي

أقول لك أيضاً. إذا كنت تحبيني حقاً، فليجب أن تتركتيني أذهب بدون المزيد من

المتاعب».

ثم ضحك وهو يضيف:

«ألا تذكرين يا ديليا موقفاً مشابهاً لهذا الموقف. عندما طلبت مني أن

أ تزوجك».

ثم أخذ ادموند حقيبته، واتجه إلى الباب، فتبعته ديليا وهي تسأله:

«متى أراك مرة أخرى؟»

«لا أفري. ربما الأسبوع القادم. سأحاول في أية حال العودة إلى ريودي

جانيرو بأسرع ما يمكن».

«علي العودة إلى لندن يوم الأربعاء القادم فإنتي مرتبطة بالعمل».

«سأحاول الوصول إلى ريودي جانيرو قبل هذا الموعد، ولكنني لا أعنيك

ومثل في الأصابع ٢٢

بشيء، فكما تعرفين لا يمكن الحزم بشيء هناك.

وفتح آدموند الباب ليخرج، ونظر إليها وهو يتفادى الغرفة نظرة طويلة ثم قال:

«إذا كنت تحبينني فعلاً يا ديليا، فانتني سأجرك في انتظاري في ريو دي جانيرو».

واستلقت ديليا في فراشها وهي تستمع في تعاسة إلى صوت محركات الطائرة وهي ترتفع في الجو لتبتعد عن القرية ثم سمعت صوت أقدام، وفتح باب الغرفة ببطء، ودخلت ريتا وانجھت إلى الفراش، وجلست إلى جانب ديليا وقد امتلأت عينها بالدموع. ونظرت إلى ديليا وهي تقول:

«أنتك تبدين شاحبة الوجه يا ديليا وحزينة، ولكن ألا تيكفين وأنت تودعين آدموند؟ انتي أيكفي بحرقه دائماً عندما يتركني مانويل ويرحل».

فهزت ديليا رأسها وهي تحاول الابتسام، وقالت بصوت حزين:

«طلبت منه أن يأخذني ولكنه رفض. وقال انه لا يريدني معه. وأنا أعرف السبب في ذلك، لأن زانيتا معه».

وتوقفت ريتا عن البكاء فجأة، وهي تقول:

«ما هذا الذي تقولينه يا ديليا؟»

ثم وضعت يدها على جبهتها، وقالت:

«حرارتك ليست مرتفعة، فلماذا تهذين؟»

«انتني لا أهلي. آدموند لا يحبني...»

فقاطعتها ريتا قائلة:

«أنت تفكرين هذا بعد قلقه الشديد عليك أثناء مرضك، كان يشعر بتعاسة شديدة لأنه سمح لك بالذهاب إلى تلك القرية. وهو لا يريدك أن تذهبي معه اليوم، لأنه يهتم بك إلى درجة كبيرة، ويخشى أن تصابي بالمرض وأنت في هذه الحالة من الضعف».

«انه يهتم بأي شخص مريض بنفس هذا القدر، انه لا يحبني ولم يحبني في يوم من الأيام، فهو يحب عمله أكثر مني».

فهزت ريتا رأسها بحزن، وهي تقول:

«انتني أفهم تماماً ما تعنين، ولكن مانويل أيضاً يحب عمله، ومن من الرجال لا يحب عمله وخاصة من كان على شاكلة آدموند ومانويل؟ ان الرجال يعتقدون أننا نفهم ذلك ونفهمه، فهم يرحلون وما علينا سوى انتظار عودتهم ربما بعد أسبوع أو شهر. أليس كذلك يا ديليا».

«نعم، ولكن...»

فقاطعتها ريتا وهي تضع اصبعها على فمها:

«لن أسبح لك بالحديث حتى نتناول بعض الطعام، فأنت تشعرين بالحزن الآن لأن آدموند رحل وأنت مريضة، ولكنك ستشعرين بالتحسن بعد أن تسالي قسطاً من الراحة. وغدا سرحل معاً إلى ريو دي جانيرو حيث تستمتع بوقتنا بانتظار عودة آدموند ومانويل اليك».

وانجھت ريتا إلى الباب، ولكنها توقفت وقد بدا عليها التفكير ثم نظرت إلى ديليا وقالت:

«يجب ألا يساورك القلق يا ديليا بشأن زانيتا فهي تنظر إلى كل ما يريد».

آدموند في المرأة، انها على عكسك تماماً. والآن سأذهب لأحضر لك بعض الطعام».

وعلى الرغم من أن ديليا شعرت ببعض الراحة بعد الذي سمعته من ريتا إلا أنها كانت تشعر بالقلق لأن آدموند رحل عنها وهو غاضب بعد أن سمع بأمر فقدانها للطفل.

وتذكرت ديليا موقف بيتر وهي تشعر بالأسف لأنها سمح له بالتدخل بينها وفساد كل شيء. ولكن القدر أتاح لها فرصة لقاء أخرى وقضاء شهر عسل جديد، فهل تترك غيرتها من زانيتا تقضي على هذا الأمل الجديد في عودة

ادموند اليها! وهل تتيح الفرصة من جديد لشخص آخر بالتدخل بينهما؟
وصمت ديليا على الاستفادة من دروس الماضي، وألا تسمح لما حدث من
بيتر أن يتكرر مرة أخرى، فيجب عليها أن تتقن بادموند. لقد قال لها وهو
يرحل أنه سيراهما في ربودي جانيرو. إذا هي انتظرت عودته. وهي تنتظره معها
طالت المدة.

وفي صباح اليوم التالي، وصلت طائرة الامدادات واستقلتها هي وريتا في
طريق عودتهما الى ربودي جانيرو.

وحبست ديليا دموعها، كانت تشعر بالحزن لفراق يوستواورلاندو وأهالي
القبيلة الذين عاشت معهم لفترة، ونظرت الى أسفل، فرأت القرية تبعد عن
نظرها لتختفي بعد ذلك، وتنتهي بذلك رحلتها بين الأدغال وهي لا تدري بعد ما
إذا كانت قد ولّقت فيها.

حقاً، انها التقت بادموند ولكن الوضع بينهما ما زال كما هو. كما انها لم
تتأكد بعد من حبه لها. وما عليها الا أن تنتظر من جديد لتتأكد من ذلك. ولكن
كيف لها وهي لا تستطيع أن تجزم حتى بعودته بعد مولده منها حين علم
بأمر الطفل.

ووصلت الطائرة في الموعد المحدد لها الى برازيليا، لتستقل ديليا وريتا
طائرة كبيرة في طريقهما الى ربودي جانيرو.

وعندما وصلت الطائرة الى المطار، وجدتا في استقبالهما ماريما مارتينيز شقيقة
ريتا وأطفالها الثلاثة. وكان لقاء ريتا بأطفالها لقاء مؤثراً للغاية. ثم استقل
الجميع سيارة ماريما الصغيرة التي انطلقت بهم بسرعة في الطريق المنيع
الذي يصل المطار بالمدينة الجميلة، التي بدت بروجها البيضاء الطويلة وهي
تطل من بين الجبال الخضراء المرتفعة، كما بدت على البعد مياه المحيط الزمردية.

وعندما اقتربوا من المدينة، كان زحام العربات شديداً حيث كانت تسود بينها
فوضى عجيبة. واندفعت ماريما بالسيارة غير مبالية بما حولها من سيارات

ومال في الأصابع ٣١

بصورة أفزعت مرديليا. ولاحظت ريتا انزعاجها، فقالت وهي تبسم:
«هذه هي الطريقة الوحيدة التي يمكنك بها السير في طرقات ربودي جانيرو.»
«انني أشعر بفزع»

فضحكت ريتا وهي تقول:

«إذاً ماذا يكون شعورك عندما تسيرين في هذه الطرقات في وقت اختناق المرور.
هل عندكم في لندن فوضى مرور كما هو الحال هنا! وهل تقودون سياراتكم
بهذه الطريقة؟»

فردت ديليا بدبلوماسية وهي تحاول ألا تظهر انتقادها:

«يمكن القول بأننا أكثر تحكماً في أعصابنا. ولكن لماذا تستخدم سيارات
الأوتوبيس هذه الأبواق المزعجة؟»

«لتفصح لها باقي السيارات الطريق. فان سائقي سيارات الأوتوبيس يعتقدون
انهم يمتلكون الطريق.»

وأخيراً وصلوا الى المدينة، وسارت السيارة في طريق مستقيم تحيط به المباني
العالية. وكانت الأرصفة مزودة بالمشاة. ثم وصلوا الى طريق ضيق بجوار
ساحل المحيط وتحيط به من الناحية الأخرى ملاعب الغولف الخضراء المترامية.
«ومهدأت ماريما من سرعة سيارتها وهي تدخل الى ضاحية ظهر فيها عدد من
النازل الكبيرة الفخمة التي تحيط بها الحدائق الواسعة. وأوقفت ماريما
السيارة أمام منزل أبيض جميل خلف سيارة كاديلاك.

«والفتحت ريتا الى ديليا قائلة:

«هذا هو منزل عائلتي حيث سنبقى بانتظار عودة الرجال من فيينال. وهو كما
ترين كبير ويتسع لعدد من العائلات.»

وتبعت ديليا ريتا وأطفالها الى داخل المنزل الذي كان يؤكد كل ركن فيه
مدى ثراء أصحابه. وعندما دخلوا الى البهو، وجدوا سيدة بديهة ترتدي ثوباً يجمع
بين الأبيض والأسود وفقت في انتظارهم وعلى وجهها ابتسامة مرحية. وقالت

ريتا تقدمها الى ديليا:

«هذه دولفا مديرة المنزل».

وبعد حديث قصير بالبرتغالية مع دولفا أضافت ريتا:

«والدي ليس موجودين بالمنزل في الوقت الحاضر، ولكنها سيعودان في نهاية الأسبوع قبل احتفالات الكرنفال. كم أفتنى أن تبقي معنا لمشاهدة الاستعراضات الجميلة التي تقام بهذه المناسبة. ربما أمكنك ذلك إذا عاد آدموند قبل يوم الأربعاء وبقينا معنا لفترة».

وصحبت ريتا ديليا الى الغرفة المخصصة للضيوف في الطابق العلوي. وكانت غرفة جميلة بتوسطها سرير متسع وقد أثنت على الطراز البرتغالي القديم. وغادرت ريتا الغرفة وهي تقول:

«أرجو أن تسترخي قليلاً ريتا يتم اعداد طعام العشاء».

ودخلت ديليا الى الحمام، وكان فخماً للغاية. وتذكرت وهي تغطس في مياه البانيو المعطرة آدموند. كانت تشعر بالأسف لأنه موجود الآن في الأدغال تتسلط حبات العرق على وجهه. ويتعرض لضايقات البعوض والخشرات الأخرى. وبعد أن انتهت من الاستحمام، وضعت ثوباً نظيفاً.

ونظرت الى نفسها في المرآة، قرأت وجهها شاحباً للغاية وبدت عليه آثار المرض.

وكان العشاء يتكون من أصناف رائعة للغاية. وبينما كانوا يتناولون الطعام،

قالت ريتا وهي تنظر الى ديليا:

«تبدين متعبة ولكنك ستشعرين بالتحسن بعد قضاء بضعة أيام هنا وما عليك الا الاسترخاء والتمتع بأشعة الشمس. وسأخذك في بعض الجولات في أنحاء المدينة، والى قمة الجبل، والى كل مكان يمكن لانسان أن يراه خلال زيارته لريو دي جانيرو. سنحاول باختصار أن نسلي أنفسنا ونقتل الوقت حتى يعود آدموند ومانويل».

ونقلت ريتا ما وعدت به، فقضت ديليا أوقاتاً ممتعة للغاية في المدينة الجميلة. وبدأت تعود الى حالتها الطبيعية، وأخذ قوامها يتملأ من جديد.

ومضى أسبوع، وبدأت ديليا تشعر بالتوتر من جديد فقد اقترب موعد عودتها الى لندن، وهي لم تعد تدري ما إذا كان آدموند سيعود قبل هذا الموعد أم لا. ومضى يوم الاثنين ثم الثلاثاء. ثم حل يوم الأربعاء.

وفي الصباح، ذهبت ريتا و ديليا الى المدينة لشراء بعض اللوازم، وتناولنا الغداء في احد المطاعم الكبيرة وسط المدينة ثم عادتا الى المنزل لتناولاً قسطاً من الراحة.

وحاولت ديليا الاسترخاء فوق فراشها قليلاً، ولكنها لم تستطع فقد كانت تشعر بالقلق الشديد. فالتجته الى الشاطئ. حيث انضمت الى أطفال ريتا الذين كانوا يرحلون على رمال الشاطئ. وعادت الى المنزل براودها بعض الأمل في أن يجد آدموند في انتظارها، ولكنها لم تجد أحداً.

وحل المساء، وجلست ديليا في الصالون الفخم مع أصدقاء ريتا الذين حضروا لزيارتها، وهي تحاول التغلب على القلق واليأس الذي بدأ يتسلل الى نفسها.

وعندما دخلت ديليا الى فراشها في المساء، أخذت تسترجع في ذهنها كلمات أغنية سمعتها تقول: ان أيامي تقضي في حزن وأمل.

وتذكرت أن هذا هو حالها تماماً مع آدموند، فاتها تقضي أيامها في حزن لفراقه وأمل في احتال عودته. ولكن ها هو يوم الأربعاء قد مضى دون أن يعود اليها. لقد تخلفت عن اللحاق بطائرتها في انتظاره، ويجب أن ترسل برفقة الى بن ديفيز رئيسها لتبلغه بسبب تأخرها. فقد تمررت البقاء في انتظار آدموند.

وكان اليوم التالي حاراً للغاية، فافترحت ريتا الذهاب لزيارة والدي مانويل اللذين يقمان في منزل فوق قمة الجبل فقالت ديليا في قلق:

«ولكن لنفرض أن آدموند ومانويل عادا بيئنا نحن بالخارج قد يعتقد

ادموند أنسى عدت الى لندن.

«ان دولفا ستخيره بمكاننا ويجرعه عودتنا، ويمكنها انتظارنا ولو لمرة واحدة في حياتها».

وحاولت ديليا التغلب على قلقها والاستمتاع بقدر الامكان برحلتها وبجمال الطبيعة حولها.

ولقد التفتان الليلة مع والدتي ماثويل، ثم عادت بعد ظهر اليوم التالي. وبعد أن وصلنا الى منزل أسرة ريتا انجبت ديليا الى غرفتها حيث اغتسلت وارتدت ثوباً جميلاً للمساء. وقد راودها الأمل من جديد في احتمال عودة ادموند.

وبينا كانت تهبط الى البهو، سمعت أصواتاً مألوفة لديها تتحدث بالبرتغالية. وتسارعت دقات قلبها، واندفعت الى غرفة الصالون، فاصطدمت في اندفاعها بريتا التي ما أن رأتها حتى صاحت قائلة:

«كنت في طريقى اليك، تعالى يا ديليا وانظري من الداخل».

ونظرت ديليا، فوجدت ماثويل و كارلو يتلقان وسط الغرفة ولكنها لم تر ادموند فسقط قلبها بين ضلوعها وسألت بخوف:

«أين ادموند؟»

وما ان رأها كارلو حتى وضع كأسه على المائدة، واندفع يعانقها ويقبلها على الطريقة البرتغالية وهو يقول مازحاً:

«كم كنت اقنى لو لم تكوني زوجة لهذا الطبيب البارد لأزوجهك أنا، الحقيقة أنا لا تعرف أين ادموند الآن، وكنا نعتقد أنه قد سبقنا الى هنا، فقد تركنا هو وزانيتا صباح الأربعاء ليستقلا الطائرة الى برازيليا ثم الى ريو دي جانيرو وقد كان قلقاً لسبب لائدره، وكان يريد الوصول الى ريو دي جانيرو قبل المساء، انسى لا أستطيع أن أفهم ماذا حدث، وحتى لو أنه لم يتمكن من اللحاق بالطائرة يوم الأربعاء، فكان من المفروض أن يصل الى هنا بالأمس».

ومال في الأصابع ٣

والفتت ديليا الى ريتا تسألها في خوف:

«هل حضر أحد بالأمس أثناء غيابنا؟»

«لقد سألت دولفا فقالت ان أحداً لم يحضر، ولكن سيدة اتصلت بك أمس».

فقالت لها دولفا انك ستتغييبين لمدة يومين».

وصاحت ديليا:

«ولكنني لا أعرف سيدة في ريو دي جانيرو غيرك».

وقال ماثويل:

«ربما تكون المكالمات من مكتب شركة الطيران بشأن حجز التذكرة».

«لو أن هذا صحيح، لتركوا رسالة لديليا».

ثم بدا عليه التفكير للحظة، وسأل:

«هل السيدة التي تحدثت في التليفون كانت تتحدث الانكليزية أم البرتغالية؟»

فقالت ريتا:

«بالطبع تتحدث بالبرتغالية والا ما كانت دولفا فهمت شيئاً».

«وهل هجتها اجنبية؟»

«وكيف لي أن أعرف؟»

فقال كارلو:

«أسأل دولفا اذا كانت هجتها اجنبية أم كانت برازيلية من ريو، فلا بد ان

تكون زانيتا هي التي اتصلت بديليا».

فنظر الجميع اليه في دهشة يتسألون:

«زانيتا؟»

فهز رأسه بالاجاب وهو يقول:

«نعم زانيتا، فهذه المرأة واسعة الحيلة، وأنا اقترح أن تتصل بها في منزلها لتؤكد

من وجودها، فقد غادرت فينبال مع ادموند، وربما يكون ادموند معها

حتى الآن، ثم نظروا الى ديليا وهو يقول:

«أسف يا ديليا لأنني أقول ذلك. ولكن لا تخشي شيئاً، فأنا على يقين من أن كل شيء سيكون على ما يرام. ولا بد أن هناك شيئاً قوياً منع آدموند من الحضور. ويجب أن نتصل بزانيتا لنعرف كل شيء».

فتنهضت ريتا والفة وهي تقول:
«سأذهب للاتصال بها فوراً».

ثم التفتت إلى مانويل قائلة:
«أرجو أن تقدم شرباً لديليا، فأنها تبدو شاحبة».

وخرجت ريتا من الغرفة وتبعها كارلو قائلاً:

«من الأفضل أن أذهب معك، فأنني أعرف كيف أتعامل مع زانيتا».

وجلس ديليا على أحد المقاعد وهي لا تكاد تعي شيئاً مما يدور حولها.

وكان كل تفكيرها في هذه اللحظة منحصرأ في شيء واحد. وهو أن آدموند قد رحل مع زانيتا يوم الأربعاء ولم يحضر حتى الآن، مما يعني أنه فضل الذهاب معها على العودة إليها.

وبعد قليل، عاد كارلو وريتا التي بدا على وجهها الفلق، فقفزت ديليا على قدميها وهي تسأل في خوف:

«ماذا حدث؟ هل تحدثت مع زانيتا، وهل وجدتتها في المنزل؟»

فتنهدت ديليا وهي تجلس على المقعد، قائلة:

«نعم أنها موجودة بالمنزل. ولكنها لا تعرف مكان آدموند لأنها لم تره منذ صباح أمس. ويبدو أنها لم يتمكن من اللحاق بالطائرة المتجهة إلى ريودي جانيرو يوم الأربعاء ووصلاً صباح الخميس».

«وهل كانت زانيتا هي التي اتصلت بديليا؟»

فقال كارلو:

«نعم. وقالت أنها تطوعت بالاتصال بديليا بناء على رغبة آدموند الذي حاول مرتين الاتصال بها ولم يوفق. وكان يريد معرفة ما إذا كانت موجودة أم

عادت إلى لندن».

ثم أضاف كارلو بسخرية:

«وقد أبلغته زانيتا طبعاً بما تريده هي أن يعرفه، وهو أن ديليا قد رحلت».

فقالت ديليا في خوف:

«لا بد أنه اعتقد أنني عدت إلى لندن يوم الأربعاء، وأنني لم انتظره».

فقالت ريتا:

«لقد دعت زانيتا للبقاء معها في منزلها، ولكنه رفض. وقالت زانيتا أنها لا تعرف عنه شيئاً منذ ذلك الوقت، فأين يمكن أن يذهب؟ وما الذي يمكن أن يفعله؟»

فقال مانويل في بساطة:

«سيحاول في هذه الحالة العودة فوراً إلى لندن. وهذا ما كنت أفعله لو أنني مكانه. وقد يكون آدموند وصل الآن بالفعل إلى لندن لو كانت هناك طائرة متجهة إليها بالأمس».

فقال كارلو:

«وإذا لم يتمكن من اللحاق بها؟»

فقالت ديليا وهي تحاول ببصرها بينهم:

«حسناً. وكيف يمكننا التأكد من ذلك؟»

فقال كارلو:

«يجب أن نتصل بجميع شركات الطيران الدولية التي لها خطوط مباشرة أو غير مباشرة مع لندن. أو ربما من الأفضل الذهاب إلى المطار».

ثم التفت إلى ريتا متسائلاً:

«هل يمكنني استعمال سيارتك، فسأصحب ديليا معي إلى المطار؟»

فنهضت ديليا إلى ساعتها، وقالت:

«هناك طائرة من المفروض أن تغلق بعد حوال خمس وأربعين دقيقة».

لقال كارلو

«إذاً هيا بنا، نحن المستحسن أن تسرع إلى المطار».

وجلس ديليا إلى جانب كارلو في السيارة التي انطلقت بها بسرعة وسط طرقات المدينة المزدحمة في طريقها إلى المطار. والتفت ديليا إلى كارلو تسأله:

«ولكن لماذا تعتقد أن زانيتا فعلت ذلك؟»

«إن النساء عندما يقعن في الحب وتدخل الغيرة إلى قلوبهن، فانهن يتصرفن بطريقة غريبة. وزانيتا تحب ادموند وتشعر بالغيرة منك. وقد أتيت لها فجأة فرصة للتخلص منك. وكانت تعرف أن ادموند يريد الوصول إلى ريو دي جانيرو قبل مغادرتك لها. وبهذا اعتقدت انه لو عرف انك غادرت المدينة قبل وصوله ولم تهتمى بانتظاره، فانه سيتركك وبهذا تحقق هدفها وهو التفريق بينكما إلى الأبد. لأن ادموند كان قد قال قبل وصولك إلى براستراورلاندو انه قد يبقى في البرازيل. وقد عرضت عليه زانيتا أن يبقى معها ولكنه رفض. وهذا يثبت لك شيئاً يا ديليا وهو انه لا يحبها».

فتنهدت ديليا وهي تقول:

«أعتقد ذلك».

وكان الزحام شديداً، وعلى الرغم من أن كارلو كان يقود السيارة بسرعة إلا انها وصلا في الوقت الذي كانت الطائرة توشك فيه على الإقلاع. فاندفعت ديليا إلى داخل المطار بينما كان كارلو يبحث عن مكان ليترك فيه السيارة. والتجهت إلى مكتب شركة الخطوط البريطانية، وسألت عما إذا كان ادموند على الطائرة ولكن الموظف المختص هز رأسه بالنفي بعد أن نظر في قائمة الركاب الموضوعة أمامه. ونفى أيضاً أنه استقل طائرة الأمس.

واعطاهما أسماء شركات أخرى ربما يكون قد سافر على طائراتها ولحق بها كارلو بعد ذلك. وظلا يبحثان معاً حتى اكتشفا في النهاية أن ادموند

استقل الطائرة مساء الخميس متوجهاً إلى لندن:

فصاحت ديليا في يأس:

«والآن، ماذا أفعل؟»

فاستم كارلو وهو يقول مداعباً:

«يمكنك البقاء معي هنا لمشاهدة الكرنفال والاستعراضات، ولكني أعتقد أنه من الأفضل لك أن تسرعى إلى لندن على أول طائرة»

٧ - كيف يكون الحب

غادرت ديليا مدينة ريو دي جانيرو اليوم التالي، في أول يوم في أيام الكرنفال. كان وداعها لأصدقائها مؤثراً. وفي الطريق إلى المطار كانت الشوارع خاصة بالأهالي الذين خرجوا لمشاهدة الاستعراضات الجميلة. وفي الطائرة حاولت النوم، ولكنها لم تستطع رغم أن الرحلة استغرقت ساعات طويلة.

وأخيراً وصلت إلى لندن، وكان الجو بارداً. وجدت مطار هيثرو مزدحماً كالعادة وقد استاءت بشدة عندما لم تجد أحداً في انتظارها، فالتجهدت إلى أقرب تليفون وبحثت عن رقم بن ديفيز.

كانت ديليا تعتقد أنها ستجد آدموند في انتظارها، لأن بن ديفيز كان يعرف مرعد وصولها. ولكن يبدو أن آدموند لم يتصل به، أو أن بن ديفيز لم يعثر عليه أو ربما آدموند عرف بأمر وصولها، ولكنه لا يريد اللقاء. واتصلت بين ديفيز، وسألته إن كانت برقيتها وصلته، فأجابها بالإيجاب وسألها:

«ماذا حدث بينك وبين آدموند؟»

«لم يحدث شيء، ولكننا فقدنا الاتصال ببعضنا بسبب سوء تفاهم. وأنا لا أعرف أين هو الآن. ألم يتصل بك ليعرف ما إذا عدت أم لا؟»

«لا لم يفعل، ولكنني أعرف أنه عاد إلى انكلترا، اتصلت بالمنظمة التي يعمل معها بمجرد وصول برقيتك صباح أمس، وقالوا لي أنه زارهم بعد وصوله يوم الجمعة الماضي، وأخبرهم أنه سيقدّم لهم التقرير في أسرع وقت ممكن».

«ألم يخبرهم بمكانه؟»

«نعم. قال إن لديه بعض المسائل العائلية، ثم ترك لهم عنواناً، انتظري لحظة لأبحث عنه».

وبعد فترة قصيرة، قال بن ديفيز:

«هذا هو العنوان. إنه شانس كورت، هامبشاير، هل يعني ذلك شيئاً بالنسبة إليك؟»

«نعم، فإن عمه الكبير يقيم هناك. سأذهب على الفور».

«انتظري لحظة يا فتاتي، هل تعرفين الطريق إلى هناك؟»

«سأحاول أن أجد طريقي، وربما أستقل القطار إلى وينشستر ثم سيارة أوتوبس بعد ذلك».

«سيكون صعباً للغاية خاصة في مثل هذا الجو. إنني أفضل ذهابك بالسيارة. لماذا لا تنتظرين حيث أنت فأمر بك بسيارتي، لأصحبك إلى منزلي حيث نتناول العشاء معاً. ويمكنك بعد ذلك اقتراض سيارة زوجتي للذهاب إلى هامبشاير. ولكن يجب أن تتصلي بآدموند أولاً لتعرفي ما إذا كان هناك أم لا».

وافقت ديليا على هذا العرض، لأنها في حاجة إلى بعض الراحة. وجلست في المقهى تتناول فنجان قهوة في انتظار بن ديفيز الذي وصل بعد أقل من ساعة.

وضعبته إلى الموقف حيث استقلت معه سيارته.

وفي الطريق قال لها بن ديفيز:

«لقد وجدت خريطة لشانس كورت قبل أن أحضر إليك، وعرفت منها أقصر الطرق للوصول إلى المنطقة».

ونظرت ديليا من نافذة السيارة إلى الطريق. كان الجو مطراً وتساقطت

وأخذت تتعجب من الاختلاف الكبير بين لندن و بوسطن
أورلاندو و بينوروس، وهي لا تصدق أن هذه القرى تنتمي إلى نفس العالم
الذي تنتمي إليه لندن.

وقال بن ديفيز:

«إن شانس كورت من المنازل الكبيرة الهامة في انكلترا، وتحيط به حديقة
غناء تفتح أمام الجمهور في أوقات الصيف، كما أن بعض غرف المنزل تفتح أمام
الجمهور أيضاً. هل تعرفين ذلك؟»

«لا، فإن ادموند لم يحدثني عنه أبداً».

«انه شاب عجيب. لا يمكنك أن تعرفي منه شيئاً. ولكن كيف كان الحال بينكما في
الأدغال؟»

«كان كل شيء يمضي بيننا على ما يرام، إلى أن عرف بأمر الطفل».

«هل حزن كثيراً لفقدته؟»

فقالت ديليا كأنها تحدث نفسها:

«استاء جداً لذلك».

وعندما وصلا إلى المنزل، كانت أودري زوجة بن ديفيز في انتظارها
عند الباب. وما أن رأت ديليا حتى صاحت قائلة:

«أوه، إن لون بشرتك رائع. إنني على يقين من أنك كنت تودين البقاء في
البرازيل. كان الجو هنا قظيماً».

ثم اضافت وهم يدخلون إلى المنزل:

«هل تريدن كأساً من الشراب قبل الطعام؟»

وعلى مائدة العشاء، كان الطعام رائعاً كالعتاد. وأكلت ديليا كثيراً، كانت
تشعر بالجوع. وبعد الانتهاء من الطعام، بحثت ديليا في الدليل عن رقم
تليفون شانس كورت، وعندما اتصلت ردة عليها رجل قال لها عندما سألته عن
ادموند إنه موجود في شانس كورت، ولكنه ليس بالمنزل في الوقت الحاضر.
وسألها إن كانت تريد أن تترك له رسالة فقالت له:

«أرجوك أن تخبره فقط بأن ديليا اتصلت به».

وضعت ساعة التليفون، والتفتت إلى بن ديفيز والسعادة تطل من عينيها
وهي تقول:

«لقد وجدتته هناك بالفعل».

فقال بن ديفيز:

«حسناً، إن المكان ليس بعيداً، ولكن المسافة قد تستغرق منك حوال ساعتين
ونصف الساعة. ويستحسن أن تبدأي الآن حتى يمكنك الوصول إلى هناك قبل
حلول الظلام».

واستقلت ديليا عربة أودري الصغيرة، وقبل أن تمضي في طريقها، قال
بن ديفيز وهو يودعها:

«يمكنك العودة إلى هنا إذا لم تتمكني من المبيت هناك، وأرجو ألا تسرعني فإن
الطريق خطر بسبب الأمطار».

وعلى الرغم من هذا التحذير، فقد انطلقت ديليا بالسيارة بأقصى سرعة لها،
وكان الطريق يكاد يكون خالياً بسبب سوء الأحوال الجوية. وبعد حوال ساعة
وصلت إلى مفترق طرق، فالتجهت إلى الطريق المؤدي إلى ستورتون وكان
طريقاً ضيقاً يخترق الجبال ثم يعود ليخترق الوديان، ومرت بعدد من القرى
الصغيرة. استمرت ديليا تسير لعدة أميال، وأخيراً وصلت إلى ستورتون،

وكانت تشعر بارهاق شديد، فوضعت سيارتها في الموقف، واتجهت الى أحد الفنادق الصغيرة حيث تناولت قحاً من الشاي، وقالت لها الخادمة عندما سألتها عن شانس كورت أنها لا تبعد سوى خمسة عشر ميلاً.

استقلت ديليا السيارة، ومضت في طريقها من جديد حيث وصلت بعد عشرة أميال إلى إحدى القرى الصغيرة.

واتجهت بعد ذلك الى اليسار حسب تعليمات الخادمة، فرأت لافتة مكتوباً عليها: شانس كورت. فسمعت ديليا بالسعادة فقد أوشكت على الوصول. وما أن اتجهت الى الطريق الموصل الى شانس كورت حتى ازدادت حدة الأمطار حتى أنها لم تكن تتيقن الطريق.

وأضاءت مصابيح السيارة، ولكنها وجدت بعد فترة أنها الطريق الخطأ فعدت بالسيارة الى الوراء ولم تنتبه الى وجود حفرة في الخلف. نزلت بها إحدى عجلات السيارة الخلفية.

وحاولت ديليا الخروج بالسيارة من الحفرة، ولكنها لم تتمكن فقررت أن تتركها في مكانها وتسير ما تبقى من الطريق الى شانس كورت.

ووضعت الوساج فوق رأسها لحمايته من المطر. ونزلت من السيارة وأغلقت أبوابها بإحكام. ثم عادت الى الطريق الذي كان من المفروض أن تسلكه، فوجدت لافتة كتب عليها شانس كورت.

وسارت ديليا وهي تحاول أن تختفي من المطر الى جوار جدار حجري. وبينما هي تسير تحت المطر، سمعت صوت سيارة قادمة من خلفها، وتوقفت ديليا، ولكن السيارة مرت بها بدون توقف وتطايرت المياه لتغرق ديليا.

ثم توقفت السيارة فجأة، وبدأت في الرجوع الى الخلف، وتوقفت بجانب ديليا. وسمعت صوتاً عرفته على الفور يقول:

«هل تريدون الذهاب الى كورت؟ هل تسمحين لي بتوصيلك الى هناك؟» وتسارعت دقات قلبها، فقد كان صوت ادموند الذي لا يمكن أبداً أن تخفطه، ونظرت الى سائق السيارة، فرأته ينظر اليها بعينه الزرقاوين. انه ادموند. فقفز قلبها من فرط فرحتها وهي تقول:

«نعم يا ادموند، من فضلك أريدك أن توصلني، فأنتي ذاهبة الى كورت لرؤيتك».

وأخذ ادموند ينظر كأنه لا يصدق عينيه، فقالت ديليا:

«نعم يا ادموند، إنها أنا ديليا فعلاً. أوه يا ادموند افتح الباب، ودعني أدخل الى السيارة، فأنتي لا أقوى على الوقوف في هذا المطر».

وانحنى ادموند وفتح باب السيارة، ودخلت ديليا لتجلس الى جانبه، وشعرت بالدفء، فخلعت الوساج من فوق رأسها والتفت اليه وهي تبسم. فقال لها وهو ما زال في دهشته وقد استند بأحد مرفقيه على عجلة القيادة:

«كيف جئت الى هنا؟»

«بالسيارة، ولكنها تعطلت معي بالطريق».

ونظرت اليه ديليا، وكان مختلفاً تماماً عن المرة الأخيرة التي رأته فيها، يرتدي ملابس فاخرة وقد قص شعره وحلق ذقنه، فهذا مختلفاً.

ومذ يده فأغلق راديو السيارة، ثم نظر اليها من جديد وبدأ عليه وكأنه تغلب على رقة الفعل الأولى التي أحدثتها المفاجأة، ونظر اليها في برود وهو يقول:

«لا أريد أن أبعد فضولياً، ولكن هل يمكنك أن تخبريني أين كنت منذ غادرت بوستو أورلاندو؟»

فذهبت مع ريتا الى ريو دي جانيرو كما كان متفقاً عليه، وبقيت معها في منزل أسرتهما.

«ولكنك لم تكوني موجودة هناك يوم الخميس الماضي».

ثم بدأ ادموند في التحرك بالسيارة من جديد وبدأت تشعر بالمصيبة، فان اللقاء بينهما لم يكن كما توقعت. ادموند لا يبدو سعيداً بلقائها وقالت تردد على سؤاله:

«كنت مع ريتا في بيتروبوليس».

«وأين تكون بيتروبوليس؟»

«على التلال بالقرب من ريودي جانيرو».

«ولكنك غادرت ريودي جانيرو يوم الاربعاء الماضي».

فقالت توضح له الأمر:

«لا. انني لم أفعل ذلك، انتظرت عودتك ولكنك لم تعن».

فقالها بهفوة:

«ألم يكن باستطاعتك البقاء لفترة أطول؟»

«لقد كان الجو حاراً، واقترحت ريتا الذهاب لزيارة والذي مانويل. انك لا يمكن أن تتخيل قسوة الانتظار والفلق من ألا يعود الشخص الذي تحبه».

ثم توقفت للحظة لتلتقط أنفاسها، وأضافت:

«لقد تركنا لك رسالة مع مديرة المنزل تخبرك فيها أنت ومانويل بأننا سنعود، ويجب أن تنتظرا».

وصمت ادموند قليلاً. وكانت السيارة قد وصلت الى بوابة كبيرة دخلت منها ببطء لتجد ديليا أمامها منزلاً فخماً يرتفع فوق احد التلال التي تطل على السهول المترامية.

وصاحت ديليا لئلا:

«وما أجل هذا المكان».

ولم يرد ادموند على تعليقها. واستمر في قيادة السيارة حتى وصل الى فناء متسع ودخل بها الى الكاراج الموجود به. وبعد أن أوقف السيارة، التفت اليها في نظرة قاسية وقال:

«والآن. وقد وصلنا. من الأفضل أن تدخل معي الى المنزل لتوضح لي بعض الأمور».

فشكرته ديليا، وفتحت باب السيارة ونزلت منها بسرعة. كانت تشعر أنها على وشك البكاء. وسارا معاً حتى وصلا الى باب المنزل الأمامي الذي فتح. ورائت ديليا رجلاً طويلاً رمادي الشعر يرتدي بذة سوداء وقبصاً أبيضاً. وما أن رأى ادموند. حتى ابتدره بالتحية وهو يقول:

«مساء الخير يا سيدي».

ثم وجه الى ديليا نظرة تنطوي على الفضول.

فقال ادموند:

«مساء الخير يا جانوس».

ثم أمسك ديليا من ذراعها وصحبها الى داخل البهو الفخم. وقال جان: «لقد اتصلت بك سيدة شابة يا دكتور تالبرت، ولكنها لم تترك رسالة كل ما قالته أن أخبرك بأن ديليا اتصلت بك».

فقال ادموند:

«هذه هي ديليا زوجتي».

ثم قال موجهاً حديثه الى ديليا:

«وهذا جانوس رئيس الخدم هنا يا ديليا. وقد مضى عليه هنا ثلاثون عاماً».

فقال جانوس:

«انني سعيد بلقائك يا سيدي. هل تسمحين لي بمعطئك؟»

فصلته ديليا المعطف وهي تشكره. فسألها ان كانت تريد بعض الشاي فأجابته بالإيجاب وهي تشكره. فعلم بسألها من جديد عما اذا كانت تريد تناول الشاي في الصالون. فأجابت ديليا وقد شعرت بالضييق للهجته الباردة: «هل هل يكون هذا مناسباً»

فقال ادموند في غضب:

«لا لن يكون مناسباً. انني أفضّل أن نتناول الشاي في غرفة الجلوس. هل تركت المدفأة موقدة كما طلبت منك يا جانوس؟ أوف. ان هذه الغرفة نظيفة. وظهر الاستياء على وجه جانوس وانحنى لديليا ثم غادر البهو فهمست ديليا لادموند قائلة:

«أعظم أنك قد أدبت شعوره»

«أنني لا أهتم بذلك. فأنني لا أعجبه ولم أعجبه في يوم من الأيام. فهو يعتقد أنني لا أنصرف بالطريقة التي تليق بسليل عائلة شانس تعالي لدخول الى هذه الغرفة وتجلس بجوار المدفأة. لا بد أنك تشعرين بالبرد»

وتبعته ديليا الى داخل غرفة متسعة تتوسطها مائدة بيضاوية الشكل. وسحب ادموند مقعداً مريحاً وقربه من المدفأة وطلب منها أن تجلس. ثم أخذ يدي في يديه فوق نار المدفأة. وسأله ديليا:

«هل أنت حقاً من سلالة عائلة شانس»

«نعم. فان جدتي الكبيرة كانت من عائلة شانس. وقد توفى والدنا بعد أن ترك لها هذا المكان. وتزوجت جدتي من موريمور ثالبوت صاحب مصانع الخلود لأنه كان ثرياً ولأنها كانت في حاجة الى المال. فان والدنا لم يترك لها سوى هذا المنزل. وساعدتها أمواله للحفاظ على هذا المكان»

ولما باتت تركت المنزل لأنها الأصغر جوستن. كان الوحيد الذي جثم بهذا
رمان في الأصغر ١٨٨
رمان في الأصغر ١٨٩

المكان. وما لم اتخذ اجراء سريعاً. فانه سيتركه لي لأنني وريثه الوحيد»
ثم ابتسم في سخرية وهو يضيف:

«أليس هذا عجباً. فأنا الذي لا أهتم بشيء في هذه الدنيا. أرت هذا المنزل»
فسأته ديليا:

«أليس عنده أبناء أو اخفاد»

«لا. فانه لم يتزوج. ولكنه كان يظهر تعلقه بي عندما كنت أزوره مع والدي وأنا طفل صغير»

وأخذ ادموند ينظر في النيران التي تتأجج في المدفأة وبدأ على وجهه الحزن وهو يقول:

«مسكين العم جوستون. انه بالمستشفى الآن حيث كنت أزوره بعد ظهر اليوم. ولا أعتقد أنه سيمكنه التغلب على الأزمة التي هاجمته. ولقد عرفت بأمر مرضه عندما ذهبت الى مقر المنظمة التي اعمل معها بعد عودتي الى لندن يوم الجمعة الماضي»

وأعربت ديليا عن أسفها لمرض العم جوستون. وتقدمت بدورها الى جوار نيران المدفأة. وجذب ادموند مقعداً صغيراً جلس عليه بجانب المدفأة. وسأل ديليا:

«ولكن كيف عرفت أنني هنا»

«عرفت من بن ديفيز لقد اتصل بالمنظمة بعد أن تلقى برقية مني بموعد عودتي. وقد عرف منهم عنوان شانس كورت. ولكنني أريد أن أعرف يا ادموند لماذا طلبت من زانينا ان تتصل بي في ريو دي جانيرو؟ ولماذا لم تفعل ذلك بنفسك»

ونظر اليها ادموند في حدة. ثم قال:

«لقد فعلت ذلك. فقد تحدثت الى مديرة المنزل في بيت أسرة ريتا مرتين. كل ما أستطيع أن أقوله أنني لم أستطع أن أفهم حديثها جيداً ولي النهاية تطوعت زانيتا بالاتصال بها نيابة عني. ولكل ما قالته لزانيتا أنك رحلت. وأن ريتا ليست بالمنزل هي الأخرى، فاعتقدت أنك».

ثم توقف ادموند عن الحديث فجأة، ووضع يده على وجهه وهو يهمهم قائلاً:

«يا إلهي. لا أعرف ماذا ظننت في ذلك الوقت. حاولت كل جهدي لأصل الى ريو دي جانيرو قبل موعد مغادرتك لها. ولكن صادفتي الكثير من المتاعب في الطريق. ثم بعد كل ذلك أعرف أنك قد رحلت ولم تنتظريني. لقد تأكد لي في تلك اللحظة ما كنت أتوقعه».

«تعني أنك لم تتوقع مني أن أنتظرك؟»

«كان يراودني الأمل في أن أجده في انتظاري، ولكنني لم أكن أتوقع ذلك وسرح بظنره من جديد الى النار ثم قال:

«عندما سمعت أنك رحلت. سرت وحدي وتركت زانيتا واقفة».

ثم ضحك وهو يضيف:

«لا أدري لماذا اعتقدت. هذا لا يهم الآن. ولكن الذي لا أفهمه هو لماذا لم تخبر مديرة المنزل زانيتا بالرسالة التي تركتها أنت وريتا لي أنا ومائويل».

«كانت على وشك أن تفعل ذلك. ولكن زانيتا اكتفت بسماع كلمة أنني رحلت، ولم تستمع الى باقي الحديث».

وتسأل ادموند في دهشة:

«ولكن لماذا. لماذا تفعل ذلك؟»

وقبل أن تتمكن ديليا من الاجابة، عاد جوناس وقد تبعته سيده طويلاً

ومال في الأصابع ٢٦

١٥٠

القائمة وتحمل صينية من الفضة وضعت عليها أقداح الشاي وبعض الأطعمة. ووضعت السيدة الصينية فوق المائدة، ووقفت تنظر في فضول الى ديليا. فنهض ادموند على قدميه وقدمها لديليا قائلاً:

«هذه هي السيدة فيل مديرة المنزل».

ثم أشار الى ديليا قائلاً:

«سيدة فيل. أريد أن أقدم لك زوجتي».

فرحبت السيدة بها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وقالت:

«لقد أحضرت لكما بعض الشطائر الخفيفة وكعكة الفواكه، فلا بد أنكما تشعران بالجوع. هل تريد أن نوقد المدفأة في غرفة النوم يا دكتور تالبوت؟»

فسأل ادموند في دهشة:

«وهل هذا ممكن؟»

«بالطبع».

«إذا. فإني أرجو أن تفعل ذلك».

ثم التفت الى جانوس قائلاً:

«أما أنت يا جانوس، فأرجو العمل على اخراج سيارة السيدة تالبوت من الحفرة التي وقعت بها واحضارها الى هنا. ما نوع السيارة يا ديليا؟»

«إنها أوستن صفراء اللون. وهي ليست بعيدة عن هنا. وها هي المفاتيح».

فأخذ جانوس المفاتيح منها، وهو يقول:

«شكراً يا سيدتي. هل هناك خدمة أخرى؟»

فرآ ادموند في يروء:

«لا. ما عدا أنني والسيدة تالبوت نريد أن نتناول الشاي بدون أي ازعاج هل

هذا واضح؟»

ومال في الأصابع ٢٦

«نعم يا سيدي».

وخرج جانوس والسيدة قيل، وأغلقا الباب وراها، فالتجھت ديليا الى المائدة لتصب الشاي في الأقداح وقالت وهي تناول أحدها لادموند: «إذا فإن جانوس يعتقد أنك لا تعرف كيف تتصرف كسبيل لعائلة شانس مع أنني أعتقد أنك تقوم بدورك باتقان كأني لورده».

«لو أنني لم أفعل ذلك. فإن جانوس سيصبح هو الأمر في هذا المنزل كما كان يفعل مع العم جوستون من قبل. كما أنه فضولي للغاية ويريد أن يعرف كل شيء. وأنا متأكد من أنه سيعود الى الغرفة مرة أخرى بعد أن ينتحل أي عذر ليستمع الى ما نقول. ثم تهتد في عمق وهو يقول:

«لا أدري ماذا أفعل بمثل هذا المكان في حالة وفاة العم جوستون فإنه سيؤول الى بوصفي وريثه الوحيد ولكنني لا أريده».

«يمكنك أن تقيم فيه. او على الأقل في جزء منه كما كان يفعل العم جوستون».

«تحبلي أنني أعيش في مثل هذا المنزل. انه كبير جداً حتى لو».

وتوقف ادموند عن الكلام فجأة. وبدأ في تناول بعض الساندويشات فقالت ديليا تستحبه على الحديث:

«حتى لو. ماذا يا ادموند؟»

«لا تهتمي بما قلت. ولكن لماذا تعتقدين يا ديليا أن زانيتا وضعت ساعة التليفون قبل أن تستمع الى بقية حديث مديرة منزل ريتا؟»

«قالت زانيتا لريتا عندما سألتها عن ذلك انها أعتقدت أن هذا هو كل ما في الأمر. ولكن كارلو يعتقد أنها تعمدت أن تفعل ذلك».

«كارلو. إذا لقد ذهب هو ايضاً الى ريو دي جانيرو ألم يوضح لماذا يعتقد ذلك».

«نعم. قال ان زانيتا تشعر بالغيرة مني كما كان يشعر بيتر بالغيرة منك. ولهذا ارادت أن تفرق بيتنا وكانت تعرف انك تريد العودة سريعاً الى ريو دي جانيرو لتلتق بي. فأرادت أن تقتنعك بأنني لم أهتم بانتظارك. وأنتي رحلت. لتدفعك على البقاء معها هي في البرازيل. وبهذا تفرق بيتنا الى الأبد».

وتوقفت ديليا عن الحديث، ولما لم يعلق ادموند بشيء. سألته:

«هل تريد المزيد من الشطائر؟»

فسرح ادموند ببصره بعيداً وهو يردد كلامها:

«بعض الشطائر. أوه نعم».

ثم اتجه الى المائدة. ووضع بعض الشطائر في صحنه. ثم عاد ليجلس الى جانبها من جديد. وأخذ يمز رأسه كمن لا يصدق. ثم قال:

«لا أدري كيف اعتقدت زانيتا أنني مهتم بها. فلم افكر فيها ابداً كامرأة. واهتمامي بها كان بسبب كونها طبيبة ليس الا».

«قالت لي انها تطرعت للعمل في هذه المناطق لتكون بالقرب منك فقط بعد أن اعجبت بك. وانها أنقذت حياتك».

«هي قالت لك ذلك؟ ما هذا الهراء؟ انها لم تفعل لي شيئاً سوى انها كانت تقيس حرارتي كل بضع دقائق. لقد كانت مصدر مضايقة لي اثناء مرضي. وكنت أطلب منها دائماً أن تتركني لحالي. كم كنت غيبياً لأنني صدقتها عندما قالت لي انك رحلت».

فقالت ديليا في تعاسة:

«لقد كررت ما حدث مع بيتر. صدقت كلامه أيضاً. ولكن أين ذهبت بعد أن تركت زانيتا؟»

«لقد أخذت أسير على غير هدى. ثم اتجهت الى المطار لأحجز تذكرة على الطائرة

المتجهة الى لندن. وكان حظي سعيداً. وعندما عدت الى لندن، التقيت فوراً الى منزلنا. حيث اكتشفت أنك لم تعودى اليه لأنه كان واضحاً أن قدماً لم تطأ منذ مدة. فالتقيت الى مقر المنظمة، وعدت من جديد الى المنزل على أمل لقائك ولكنني لم أجده أيضاً فطلبت بن ديفيز في مكتبه ولكن الوقت كان متأخراً فلم أجده أبداً. ولما لم أكن أعرف عنوانه، التقيت الى شانس كورت. ثم توقف ادموند عن الحديث، واتجه ليضع صحنه الفارغ. وسألته ديليا في دلال:

«ولكن لماذا كنت تريد رؤيتي؟»

فأجابها ادموند في برود:

«لأنني كنت أريد أن أعرف لماذا لم تنتظري؟»

فانفجرت ديليا تبكي وهي تقول:

«أوه، يا ادموند لو أنك كنت تتق بي، لما حدث أي شيء من هذا. لو أنك التقيت الى منزل ريتا في ريو دي جانيرو بدلاً من أن تتجه الى المطار، لعرفت أنني في انتظارك ولكنك كنت تتق برانيتا أكثر مما تتق بي. وكنت تتق بيتر أيضاً أكثر من تفنك بي.»

وتوقفت قليلاً قبل أن تستجمع شجاعته لتقول:

«لا أعتقد أنك تحبني. لأنك لو كنت تحبني حقاً لوثقت بي. أوه يا ادموند لا تنظر الى هذه الطريقة. ماذا تنوي أن تفعل؟»

وكان ادموند قد مذي يديه وأمسك بعنقه بقوة وهو ينظر اليها في غضب شديد. ثم قال:

«من حقك أن تخافني يا عزيزتي، فأنني على وشك أن أحطم عنقك»

«لماذا؟ وماذا فعلت الآن؟»

«فعلت ما تعودت أن تفعله دائماً، وهو اتهامي بأنني لا أحبك.»

ثم أضاف وقد خفف من قبضته حول عنقه، وأخذ يتحسس وجهها في حنان: «تزوجتك لأنني أحببتك. رحلت عنك لأنني أيضاً أحبك ولأنني لم أستطع أن أحمل فكرة كونك تعيسة بسبب زواجك مني. وأردت أن أمتحك فرصة الحصول على الطلاق. ورحلت بعيداً جداً على أمل النسيان. وكنت أعتقد أنني نجحت في ذلك. ولكنك لحقت بي في بوستو أورلاندو وفي بداية الأمر حاولت التماسك، ولكن خبي لك استيقظ من جديد، وبدأت أشعر أنني يحنون بحبك.»

وتوقف ادموند عن الحديث، حين دخل جانوس الى الغرفة وهو يسعل لتنبهها الى وجوده، فزفر ادموند في غيظ وهو يقول:

«أعتقد أنني طلبت منك يا جانوس الا يزعجنا أحد، ماذا تريد الآن؟»

«لقد أحضر سائق السيد جوستون سيارة السيدة تالبوت وهي موجودة الآن في الكاراج.»

وعندما شكرته ديليا، لمحت شيخ ابتسامة على شففيه وهو يسألها ان كانت تريد خدمة أخرى.

فقال ادموند في ضيق:

«لا، شكراً يا جانوس. وأرجو ألا تعود مرة أخرى لازعاجنا.»

وخرج جانوس بعد أن حمل الصينية معه، وترك باب الغرفة موارباً. وانتظر ادموند الى أن ابتعد صوت خطواته، فنظر الى ديليا من جديد، ورأى عنقه، وقد بدت عليه آثار أصابعه، وقال:

«يا إلهي. لقد أذيتك مرة أخرى. ولكنني أحبك ولا أحب أحداً غيرك، ولذلك تركت فينيتال قبل الموعد المقرر لألق بك في ريو دي جانيرو قبل رحيلك. ولهذا أيضاً تبعتك كما كنت أعتقد، الى لندن بأسرع ما يمكن. ولهذا أيضاً لا أريدك

أن تعيشي معي في الأدغال حتى لا تصابي بأي مرض خطير. انني أحبك يا ديليا، وجبك يسري في دمي ولا أستطيع التخلص منه».

ثم وضع يده فوق جبهته وهو يعترف:

«عشت في نار من القلق خلال الأيام الماضية وأنا لا أعرف مكانك. كنت أعتقد بأنني فقدتك مرة أخرى، ولأنني أحبك فإنني أصاب بالجنون عندما أراك مع رجل آخر يا إلهي. ماذا تريد مني أن أقول أكثر من ذلك يا ديليا لأقنعك بحبي».

فقلت ديليا وهي تضحك من بين دموعها:

«لا شيء. لا شيء يا ادموند، فأنني مقتنعة بأنك تحبني. أو يا ادموند انني أيضاً أحبك، ولهذا أريد أن أكون معك في أي مكان تذهب إليه. أرجوك يا ادموند هل أستطيع قضاء الليلة معك هنا؟»

فهمس ادموند قائلاً وهو يمسك بوجهها بين يديه:

«هل تعتقدين غير ذلك يا ديليا؟ هل نستطيع أن نبدأ حياتنا من جديد؟»

فهمست تقول:

«أعتقد أننا قد بدأنا بالفعل. في لقائنا في الأدغال».

فضحك وانحنى يعانقها، وهو يقول:

«تعتين خلال شهر العسل الثاني؟»

والتقت الشفاه وأحاطها ادموند بذراعيه، ولكنها انتبها فجأة الى صوت جانوس من جديد، فابتعد ادموند وهو يسأل جانوس في غضب:

«ماذا تريد الآن؟»

«اتنا. أعني أنا وبرائيس نتسامل عما اذا كانت السيدة تالبوت تريد استخدام سيارتها الليلة. حتى نضعها في الكاراج مع سيارتك. لأن الليلة باردة للغاية والمطر ينهمر في غزارة».

دفع اليه ادموند مفاتيح السيارة وهو يقول:

«السيدة تالبوت ستقضي الليلة هنا، وستظل معي في المنزل طوال فترة إقامتي. هل هناك شيء آخر يا جانوس؟»

«لا. شكراً يا سيدي».

«إذا تصبّح على خير».

«تصّبّح على خير يا سيدي».

وخرج جانوس، فأمسك ادموند بيد ديليا وجذبها الى اليسوفسألته ديليا:

«إلى أين تذهب؟»

«إلى غرفة النوم. فأنها المكان الوحيد الذي يمكن أن نتحدث فيه معاً دون أي إزعاج. على الأقل يمكننا أن نوصد الباب من الداخل».

ودخلا الى غرفة النوم. وكانت متسعة وأنيقة للغاية وصاحت ديليا قائلة:

«يا له من فراش رائع وكبير».

فرّد ادموند:

«انه يتسع لستة أشخاص. وهو يختلف الى حد ما عن الفراش المعلق في الكوخ وأصوات الطبول تدوي في الخارج».

وقالت ديليا:

«لم أحضر معي رداء للنوم».

فقال ادموند:

«وأننا أيضاً، فإن الوقت لم يسمح لي بشراء الكثير من الملابس. المهم هو أن نخلع ملابسك وتندسي في الفراش بأسرع ما يمكن حتى لا تشعري بالبرد سأفعل أنا ذلك أولاً وأسبقك الى الفراش لأدفئه لك».

وعلى الفراش الوثير، استلقت ديليا بين ذراعي زوجها وهي تشعر بالسعادة وهمس ادموند قائلاً:

«لا أكاد أصدق أننا الثقبنا من جديد».

فسألته ديليا:

«كم من الوقت ستقضيه هنا في شانس كورت؟»
«لا أدري، هذا يتوقف على ما يحدث للعم جوستون. دعينا الآن من هذا الحديث. فان لدينا ما هو أهم من ذلك. هناك شيء واحد أريد أن أعرفه يا ديليا قبل أن نبدأ من جديد، وهو هل تريدین طفلاً آخر؟»
«هل تريد أنت ذلك؟ وإذا حدث وكان لنا طفل، فهل تغفر لي فقدانتي للطفل الأول؟»

فدفن ادموند وجهه في صدرها وهو يقول:
«ليس هناك ما أغفره لك. انني لم أغضب لفقد الطفل، ولكن لأنني لم أعلم بذلك في وقته فقد تحملت الكثير بمفردك ولم اكن بجانبك. ولن أدعك تمرين بهذه التجربة من جديد وحدك.»

«ولكن لنفرض أنك عدت من جديد الى بوستو أو لاندو.»
«انني لم أقرر ذلك بعد. وإذا حدث أي حمل، فاني لن ابتعد عنك بأي حال من الأحوال الى أن تضعي الطفل، والآن كفانا حديثاً.»
وضمها ادموند اليه في قوة. وشعرت ديليا بأن زوجها قد عاد من جديد.
ادموند الرقيق الخنوع الذي أحبته دائماً.
فهست قائلة:

«أه، يا ادموند كم أحبك.»

«على الرغم من أنني قد أسأت اليك. وربما أفعل ذلك مرة أخرى.»
«لقد أسأت اليك أنا أيضاً. في أية حال، كانت تجربة علمتنا كيف يكون الحب.»
وسادت غرفة النوم ظلال المدفأة وهي تحبب شيئاً فشيئاً.